

هيلتون

سامي كمال الدين

الكتاب : هيلتون (رواية)

المؤلف : سامي كمال الدين

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٠

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٢١٦٤

الترقيم الدولي : 0 - 014 - 493 - 977 - 978 I.S.B.N

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة

ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤-(٠٠٢)-٠١٨٨٨٩٠٠٦٥

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : محمود ناجيه

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بطبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل
أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة كانت
إلا بعد الحصول على موافقة كتابية من الناشر

رواية

هيلتون

سامي كمال الدين



(١)

أثناء جلوسها في كافتيريا الطابق الأرضي بالمول، لم يكن هناك ما يشغلها، سوى المغني الذي صعد فجأة في الآونة الأخيرة، وكان يتراقص أمامها عبر شاشة التلفزيون، عندما بدأت تتأمل رقصاته وهو يروح ويجيء على المسرح بشكل أفقي مرة وبشكل رأسي مرة أخرى، رافضاً ترك مساحة للموديلز المحيطات به، كان يشبه الحاوي، الذي يحاول أن يسرق الشمس ويخبئها في كم قميصه ويمد يديه اللتين ظهرتتا أطول من قدميه، كأنه قرد.

نعم أنه قرد...

على سرير أميرتها يبدو محني الظهر، يده أطول من قدمه، فمه كبير شفتاه منتفختان، وأميرتها تتلذذ ضاحكة، وكأنها لا تسكن ليلة عشق، بل تشاهد عرضاً ضاحكاً في السيرك القومي.

ما زال القرد يأخذ أشكاله الأفقية والرأسية أمامها على الشاشة، ونظرها متتبع لحركاته البهلوانية، ومبسم الشيشة في يدها، وفجأة باغتها هذا الرجل الذي لا تعرفه، هي معتادة على المعاكسات، ولكن ليس بهذه الطريقة السمجة، إذ أنه جلس في المقعد المواجه لها ولوحدتها واقتحمها هامساً في أذنيها:

- أنا كمان بحب المغنى ده.. مش هو ده اللي اسمه عمرو حسني؟

- أنت مين؟ ومين سمح لك أصلاً تقعد قدامي؟.

ولكنه بكل صلف لم يرتدع من صوتها الزاعق، تمادى، أخرج كارتته الشخصي مكتوباً فيه اسمه ورقم هاتفه، وقد اعتاد على ذلك مع البنات، حيث يضع كارتته الشخصي في حقائب هؤلاء البنات، أو يلقيه أمامهن ويهرول مسرعاً؛ حين ينفذ الكارت الخاص به، يكتب اسمه ورقمه في ورقه، ويلقيها إليهن، ولا يعرف كيف واتته الجرأة على الجلوس أمام داليا..؟!!

لم يعط فرصة ليفكر، فقط وجد أمامه عملاقين أمريكيين يرفعانه رفعاً ويقذفان به بعيداً، ثم ينهالان عليه ضرباً بالأيدي وركلاً بالأقدام، ولم يتركاه حتى بعد أن أصبح مثل الشاة المذبوحة، إلا حين أحسا بأن نبض الحياة توقف داخل جسده.

كانت داليا تتابع المشهد من بعيد، واضعة يدها على فمها، وعيناها متحجرتان بالدموع، وفي يدها كارتته الشخصي الذي لمحت من بين دموعها اسمه "هشام عبد الحميد"، وضعته في حقيبتها، ومشّت أمام الحارسين إلى خارج المول في صمت.!

لم يكن هشام يعرف أن هذه هي النهاية لعلاقاته النسائية، ففي المسافة التي يقطعها سيرًا على قدميه من الجريدة التي يعمل بها في شارع قصر العيني وحتى مول هيلتون رمسيس لا شيء يشغله، سوى الطريقة الجديدة التي يبتكرها ليقتنص فرجًا جديدًا.

ليس مهمًا أن تكون صاحبتة خضراء العينين أو سوداء الشعر.. وليس مهمًا أن تكون متناسقة الجسم أو كبيرة الأرداف، وليس هامًا على الإطلاق أن تكون خريجة الجامعة الأمريكية أو فتاة ليل خرجت لترتق.. المهم أن تكون امرأة تتفجر أنوثتها كليل الفنادق، وأن يصرخ كل شيء فيها مطالبًا بالإشباع.

إذن هشام يبحث عن المرأة السكس، باهظة الأنوثة، بكل ما يشتهيها حيوانه النهم الذي ما يلبث أن تنطفئ شهوته فيزداد طلبًا لها.. ليس مهمًا أن يأخذها ليضاجعها أو ليتعرف إليها.. فالحالتان سيان وغايته أن يحقق هدفه الذي طالما وهب نفسه إليه.

هشام يقضى نهاره صحفيًا حيث يعمل في جريدة "الصوت الحر"، وهي جريدة مستقلة استطاعت أن تكتسب احترام الناس في فترة بسيطة، رغم كل الانقلابات التي حدثت داخلها، بدءًا برحيل عضوها المنتدب وصانعها الرئيسي، مرورًا برحيل رئيس تحريرها الذي قتل في جريمة غامضة، وتولى بدلاً منه أحد الذين دارت حولهم الشكوك

في أنه وراء مقتله، لكن لم يستطع أحد إثبات ذلك... ومثل هذه الانقلابات تبدو حياة هشام الذي وصل إلى السابعة والثلاثين من عمره، وقابل ثلاثين فتاة تصلح كل واحدة منهن أن تكون زوجة له، لكنه عزف عنهن جميعاً، وعلى الرغم من سمرته وشعره المجعد، إلا أنه يحمل وسامة من نوع خاص، فوجهه متناسق الملامح، وعيناه تكشفان عن ذكاء حاد وجاذبية.. كما أنه يمتلك أسلوباً جيداً للتعرف إلى النساء، ويتحدث الإنجليزية بطلاقة، لذا فقد كاد يبكي حين هرول خلف فتاة أمريكية في شارع طلعت حرب ليقول لها "So beautiful" فردت عليه بالعربية:

ك....أمك !

"هيلتون رمسيس" هو الجزء الثاني من يوم هشام، فبعد متابعته للتقارير الإخبارية واتصالاته بالمسؤولين في مجلس الوزراء ولقاءاته بالوزراء، إلا أنه حين تصل الساعة إلى الرابعة يلقي كل هذا وراء ظهره، فلا متعة تعلو على متعة الجسد..

يسير في شارع قصر العيني، يلقي بسهام نظراته من كل حذب وصوب، يلمح نهذاً هنا وخصراً هناك، فيتوقف نحو ربع الساعة أمام مسرح السلام يتتبع أرداف هذه، وخطوات تلك، وحين يلمح من بعيد سيارة أنيقة مقبلة وبها فتاة، وقد ملأت وجهها بمساحيق التجميل يسارع بإخراج كارتة الشخصي من محفظته ويلقي به في جبرها، وإذا ساءه حظه ووجد زجاج سيارتها موصداً فيلقي به من الخارج بين الزجاج، ولا ينافسه في ذلك أحد؛ سوى مطاعم حضرموت..!

حين يصل هشام عبد الحميد الصحفي الناجح إلى الكشك أمام فندق هيلتون رمسيس، مرتدياً بذلة بدون رابطة عنق، مستخدماً عطره الذي يتميز به "cartier"، والذي لا يغيره مهما جد في أنواع العطور، يلتقي أصدقاء ليله الدائم، الذين يقيمون أمام هيلتون رمسيس حتى الحادية عشرة مساءً، حين يوصد المول أبوابه؛ باستثناء السينما وماكدونالدز، اللذين يعملان حتى وقت متأخر من الليل. وقد التقى صديقه شادي اليوم؛ الذي يحمل وسامة كبيرة يشعره الأسود الناعم وبشرته البيضاء وطوله الفارع.

لم يعرف هشام لشادي عملاً منذ تعارفا منذ سنواتٍ ثلاث، فشادي يعمل في أي شيء يخطر أو لا يخطر على البال، بدءاً من تركيب كوالين للشقق وحتى مضاربات البورصة.

كان تعارفهما ذات ليلة، حين جمعت بينهما فتاة، كل منهما أعطاها رقمه، ولم يكن لدى هشام مكان، اتفقت مع شادي على أن يلتقي الثلاثة عندها، حينها رفض شادي الذهاب إلى بيت امرأة لا يعرفها فلديه شقته الخاصة، فاز هشام بتلك الليلة التي تزيد من رصيد لقاءاته الغرامية، ودفع مضاعفاً عما دفعه شادي.

دخلا إلى المول، توقف هشام أمام كافيتريا الدور الأرضي بالمول معطياً ظهره لمحل المجوهرات الشهير في مدخل المول، راحت عينا شادي تتطلعان إلى المكان الذي ينظر إليه هشام، سأله عما يوقفه وعيناه تتابعان تلك الفتاة التي تجلس كما فارس على جواده، بوجهها المضىء بغلالة من نور، وسأل هشام عما به.

- هي دي اللي بدور عليها لاتزوجها.
- كل يوم تشوف واحدة وتقول إنها الزوجة المناسبة لك، وفي آخر الليل تكون معنا في الشقة
- بس دي مختلفة.
- هانشوف.

خريز بول يتدفق من أعلى، بلزوجة تحمل رائحة الغثيان، تنهال على النائمين مؤرقين من السيارات التي تعوي طوال الليل، عمال حملتهم لقمة العيش من جنوب مصر إلى تحمل كل عذابات الدنيا حتى لو وصلت إلى حمام صباحي من بول الرئيس عطا.

عمال تختلف مهنتهم من مبيض المحارة إلى مبلط السيراميك والنجار والحداد، إضافة إلى عدد لا يحصى من الفواعلية، تفرقهم المهن، ويجمعهم المكان، في بدروم عمارة دوحة ماسبيرو المجاورة لهيلتون رمسيس يسكنون، منذ جاءوا من الصعيد لبناء هذه العمارة.

وسط هؤلاء العمال يعيش عدنان الذي ينتهي من ودية عمله في الرابعة عصرًا، إذ يعمل موظف أمن على البوابة الخلفية للعمارة، وعدنان صعيدي مثلهم، لكنه درس بكلية التجارة جامعة حلوان، وطوال دراسته كان يعمل في هذه العمارة مساعدًا لمبيض محارة، يقيم في بدروم العمارة مع أقاربه الصعايدة الذين يتراأسهم الرئيس عطا الذي يوظفهم في السادسة صباحًا بطريقته البولوية المعتادة، ما إن يصحو من نومه ويصعد أعلى البدروم حتى ينهال خريز البول صيفًا وشتاءً، كان يوظفهم بركلة من قدميه، لكنه وجد في التبول منبهاً جديداً ومختلفاً، خاصة حين يلامس قطع الكارتون التي ينامون عليها، يحقق لديه متعة من نوع خاص، يفتح فمه لأعلى، كأنه

سيبتلع السماء، ثم يقهقه بصوت مدوي، مستلذاً أكثر بفزعهم وهم يستيقظون، لذا يستيقظ أغلبهم من تلقاء نفسه قبل أن ينبهه البول.

الريس عطا رجل طيب، يحاول أن يصنع بهجته داخل عالم خاص به في القاهرة المعز، التي لا تعترف كثيراً بأمثاله، القادمين من جنوب البلاد بملابس مهلهلة، والذين يبنون، ثم يعودون إلى بلادهم كما جاعوا.

شخص واحد لا يستطيع الريس عطا أن يمارس غلظته عليه، بل ويظهر له احتراماً كبيراً، ذلك لأن عدنان ابتكر حيلة ذكية، منذ جاء ليعمل مع عمال التراحيل، فقد ادعى أن به مساً من الجان، وأن كل من يؤذيه لن ينجو من عقاب الجان الذي ينام بجواره كل ليلة، وقد أكد هذا الأمر حين كان نائماً ذات مرة، وأيقظه الريس عطا من نومه فقد نهض عدنان ممثلاً دور المذعور وأمسك برقبة الريس عطا الذي أخذ يصرخ، ولم يتركه إلا بعد أن تجمع كل عمال العمارة وأنقذوه من بين يديه، وتأسف عدنان للريس عطا وقبّل رأسه، وقال له إن هذا يحدث حتى مع أبيه في البيت، فهناك جني يسيطر عليه ويتلبس جسده، هذا الجني لا يستطيع أن ينام ليلة إلا في جسد عدنان متخفياً من عمه ملك الجان، الذي قتل ذات يوم خلف بيت عدنان في الصعيد.

يرتدي عدنان بذلة كاملة، ومعها رابطة العنق المتميزة التي اشتراها أمس بعشرة جنيهات من أحد بائعي الكرافات - بعد فصال طويل - من أمام كافيتريا "الأمريكين"، في أول شارع طلعت حرب، حيث يقف

الباعة محدقين يمينًا ويسارًا، في انتظار أي حملة غاشمة من رجال البلدية على متمردي الجلوس على كرسي البطالة، استعدادًا منهم للهروب ببضاعتهم قبل أن تصدر منهم عنوة.

حينما ارتداها عدنان، بدت لمن يراها أنها جاءت خصيصًا من باريس يدلف بها إلى مول هيلتون رمسيس، صاعدًا السلم الكهربائي، وفي يده هاتف نوكيا من نوع حديث، اشتراه بالتقسيط على ثلاث سنوات من المحل المجاور لبائع العصير بجوار الهيلتون، يضعه على أذنه مدعيًا أنه يتحدث، وحين تمر فتاة حوله يسارع بالنطق برقم هاتفه، ويزهو كثيرًا بأن هذه الحيلة نجحت أكثر من مرة، لكنه يحكي بمرارة ما حدث ذات يوم، حين وقف أمام مطعم مكدونالدز في الدور الأخير في المول، ونطق برقم الموبايل بجوار امرأة سعودية، فقالت له:

- لا أحفظ أرقامًا.

فطلب أن يتحدث معها ويتعرف إليها ويعطيها رقم هاتفه، رفضت المرأة، فقد كان يمكن أن يحدث ذلك لو التقته قبل تلك اللحظة بخمسة عشر يومًا، حيث ستسافر صباح اليوم، طلب منها أن تعطيه رقمها السعودي، ليهااتفها إلى أن تزور القاهرة المعز ثانية.

قالت : لا شكرًا.. كافي التعارف هدا.

(٤)

جمعت "داليا" كل مميزات المرأة المصرية بجمالها وشخصيتها القوية وحسن التصرف في أي موقف تتعرض له، وزاد على ذلك تجربتها في بيروت، حيث قضت سنوات ثلاث تدرس علاقات عامة، وهناك تعرفت على الأميرة هناء وجاءت معها إلى القاهرة، وترأست طاقم السكرتارية الخاص بها، بل إنها تدير الأمور بشكل جيد في غيابها أفضل من ابنتها الأميرة جواهر.

سنوات ثلاث وداليا تقيم في الأدوار العليا من فندق هيلتون رمسيس، تعيش حياة الملوك، يعجبها كثيراً أن ينظف الآخرون قذارتها، ربما يكمن العامل النفسي لديها في ذلك، فقد كانت في أيامها الفاتنة تعمل بالمهنة نفسها - خادمة - ولكن لزوج أمها، يوم كانت تسكن بحي بولاق أبو العلا، ولم يكن يجول بخاطرها يوماً ما التطلع؛ مجرد التطلع فحسب؛ أن تسير بمحاذاة هذا المبنى الضخم، الذي يطل على النيل كأنه أسد حراسة، لا يريد لأحد أن يوقظ النيل في وجوده، وتذكرت كيف كانت تدعك يديها فوط زوج أمها، وملابسه الداخلية الممتلئة بالبقع.. فسقطت دمعة من عينيها.

كثيراً ما لازمت داليا حالة هيستريا من الدموع، حين تخلو إلى نفسها.. كلما تذكرت ذلك اليوم الذي نقلت فيه أمها إلى المستشفى، بعد سقوطها من السلم الخشبي، حيث كُسرت رجلها، فبعد منتصف

الليل هجم عليها زوج أمها كغول، وراح يفترس كل جزء في جسدها، لم تجد مقاومتها أو تهديدها له بجمع الجيران عليه، فقد أوثق يديها، ووضع لاصق على فمها، وأمسك رجلها بكل قوته، وغرسه فيها بكل صلابه، وظل يمارس معها الجنس بفضاظة ذكورية فادحة.

من يومها وداليا تتحسس شفتيها، ولكم تمنى أن تلتقي رجلاً يقبلها فقط.. لقد كرهت الجنس، إنها في شوق إلى القبلات فقط، بل إن اللحظات الوحيدة التي كانت تنتظرها، وهي تنظر من فتحة الكالون الخاصة بالباب الذي يربط بين غرفتها وجناح الأميرة، لحظات بدايات ممارسة الحب، وما إن تلقي الأميرة هناء جسدها على السرير حتى تهرب داليا بعينيها واضعة يدها عليهما كي لا تتذكر المأساة التي تعرضت لها.

من يتعامل مع داليا يدرك أنها نشأت في أرقى طبقات المجتمع، فمشيتها بحساب، وخطوتها بحساب، وحجم اتساع ابتسامه شفتيها بحساب.. فمنذ حدث ما حدث وداليا قررت أن يكون الحساب سابقاً لأي شيء!!

تبدو داليا أكثر أناقة من أميرتها في ملابسها وأسلوب حديثها الشيق، لكن لا أحد يستطيع أن ينظر إلى داليا في وجود الأميرة، وقد حاول ذات يوم المطرب الشاب عمرو حسني أن يداعبها، حين نهضت الأميرة لتحدث في هاتفها المحمول في شرفة جناحها بالفندق، وحين قدمت وجدت عمرو يضع يده على كتفها، ويداعب خصلات شعرها السوداء، مما جعلها تصدر قرارها لداليا أن ترحل الآن.. ثم قالت له:

- لازم تفهم حاجة مهمة، وهي إن كل النجومية والبنات اللي بيجروا وراك لن يعملوا لك شيئاً.. فلا واحدة منهن تستطيع أن تشتري لك سيارة "هامر" مثل التي أعطيتها لك، ولا الساعة الألباظ التي ترتديها الآن، ولا ملابسك التي اشتريتها لك في باريس حين كنا معاً، وادعيت في الصحف أنك ذاهب لتصوير كليب جديد.

- بس...

- من غير بس، قوم عشان نفسي فيك دلوقتي.

- ولكني لا أريد الآن.

- ليست برغبتك يا حبيبي، أنا اللي أحدد امتي وإزاي، وأنا اللي أحدد متى تنهي رغبتك وتقذف ما تحمل.

رغم أن الأميرة هناء تكره عمرو حسني ولا تحب الاستماع إلى صوته، يروق لها كثيراً عمرو دياب و راغب علامة، لكن ما جعلها تحب عمرو حسني تهافت ملايين المعجبات عليه، حركاته على المسرح، تستلذ كثيراً وهي فوقه تمارس الحب كما تريد، ولا يستطيع أن ينهي رغبته دونها، فقد فعلها ذات مرة ولم يستطع ممارسة الحب مرة ثانية، فصرخت فيه:

- خلي المعجبات بتوعك ييجوا ليروا رجولتك.

ثم أتت بحبة فياجرا وناولته إياها لتحقيق رغباتها المشتعلة، وبعد أن أنهت شبقها قالت له: إذا أردت فاستخدم يدك، أنا مش عايزة تاني.

هذا هو الرجل الوحيد الذي كانت داليا تصر على مشاهدته من فتحة الفرجة حتى النهاية، محاولة إيجاد تفسير لما يفعل، وفي عينيها

شفقة عليه، فهو يستطع أن يأتي بكل ما تمنحه إياها لو ركز في حفلاته وألبوماته وأفلامه، لكنه يجد متعة في ذلك.. متعة من وهم، لا يصنعها الفنان وحده، لكن يفعلها أيضًا زكي عبد الوهاب.

لا شيء يخجل في حياة زكي عبد الوهاب، فهو رجل بدأ حياته من الصفر، حيث كان يبيع الحديد الخردة تحت رعاية أبيه في مدينة طنطا، وحاول بكل الجهد والعرق أن يحقق أحلامه وطموحاته فصار إمبراطور الحديد في مصر.. وأصبح اسمه علامة معروفة، وقد عاش زكي عبد الوهاب حياته كلها مخلصاً لعمله حتى وجد نفسه فجأة قد تجاوز الخامسة والأربعين، وراح شعره الأسود الناعم يتحول إلى خصلات بيضاء صارت تجذب العديد من النساء إليه.. فهو واحد من نجوم مجلس الشعب، وواحد من مشاهير ليل القاهرة، والأهم من هذا أنه الأقرب لسادة المصير في معيشتهم وطموحاتهم وأفكارهم، لا يستطيعون اتخاذ أي قرار دونه... لذا أصبح مصير مصر كله بين يديه.

رغم كل هذا فإنه لم يصادف المرأة التي يقتنع بأن تشاركه قلبه وأمواله وحياته، حتى التقى في إحدى زيارته للندن الأميرة هناء.. وقتها رآها فتاة عربية عادية تعد للدراسات العليا أو موفدة من قبل شركة لصفقة ما، لم يتوقع على الإطلاق أن تكون أميرة أو حتى متزوجة، فبشرتها البيضاء المشربة بالحمرة وشعرها الأسود الناعم الذي يتدلى خلفها كليل تائه، وجسمها المتناسق وملابسها؛ توحى لمن يراها في نهار لندن أن لا شيء في حياتها سوى العمل.

كانت الأميرة هناء قد ضلت الطريق من الحرس الخاص بها، وخرجت من الباب المطل على الشارع الخلفي لمبنى هارودز، وعبرت إلى عدة شوارع، وراحت تسأل طريق العودة، وتقدم منها زكي عبد الوهاب ودلها على الطريق، طريقه هو، جذبها بأناقته وبصوته الهادئ ونظرته القوية، وبعد تبادل أرقام التليفونات وعدته باللقاء في مصر.

ومضت سنوات ثلاث على هذا اللقاء، وزكي يلتقيها كل خميس في كافيتريا هيلتون رمسيس بالطابق الثالث والعشرين.

يأخذ السائق السيارة الـ"بى ام دبليو" - إحدى سياراته التي يعتز بها كثيراً - إلى ساحة الانتظار، أو يعود إلى البيت لأن البية سوف يقضي ليلته في جناح خاص بالفندق تحجزه الأميرة باسمها حتى لا يتعرض أحد لسمعة النائب الشهير ورئيس إحدى لجان مجلس الشعب يقضي ليلته معها في شراب وحب، ولكم كان يتمنى أن تكون زوجته؛ لذا تضايق كثيراً حين عرف أنها متزوجة، بل من واحد من أكبر أمراء الخليج، لكن هذا الأمر أراحه كثيراً، فلم يعد مهتماً بإدارة الصفقات، ولا السعي وراء الربح، فكل ما يريد من ملايين الأرض يجدها تحت رجله، فقد أحبته الأميرة هناء، ومن تقع في غرامه تمنحه عمرها، رغم أن أغلب مشاهير المجتمع تحت قدميها.. لكنها كانت بحاجة إلى رجل يضرب شواطئ نهديها بعنف، ويبتلع جسدها النائم في محارته دون رجل يوقظه من سباته.. وقد استطاع زكي عبد الوهاب ؛ الذي لم يكن يميل إلى النساء، اختراقها كسيف وإشعال نيران اللذة في جسدها.

كانت الأميرة هناء تبحث عن رجل لا يبحث عما ستمنحه له من نقود أو سيارة أو شاليه بعد مضاجعتها، رجل يضاجع أحاسيسها قبل جسدها، يسكن روحها قبل سريرها، وقد وجدت في زكي عبد الوهاب هذا الرجل، الذي رفض كل إغراءاتها في البداية، فهو ليس بحاجة إلى أموال امرأة مثلها، كما أنه استطاع من خلالها أن ييسط نفوذه على منطقة الخليج ويصبح المصدر الرئيسي للحديد فيها، بل وراحت الأميرة هناء تنشئ له شركة في كل دولة عربية، ليصبح زكي عبد الوهاب الإمبراطور العربي للحديد.. وتفعل هي في مصر ما تريد، فبمهاذفة صغيرة منه ينهي لها كل شيء.

كانت داليا تعرف كل هذا، لذا لم تتدهش حين فتحت باب حجرتها ووجدت هذا المنظر الغاية في الغرابة؛ حيث كان زكي عبد الوهاب يجلس عارياً على كرسي التسريحة، بينما تجلس الأميرة هناء عند قدميه وفمها بين فخذيه مولعة بالرغبة والشبق إلى حد الجنون.

زهرة تتفتح لرسام غير معروف، معلقة على حائط لم يره هشام من قبل، ووجهان يشبهانه كثيراً لم يرهما في نهاره أبداً.. يتأملانه بعطف وعلى الشفاه ابتسامة خجلة من حياة تعيشها أجساد بلا هدف سوى البقاء لسويغات في ليل القاهرة.

خرجت آهة متوجعة من بين شفتي هشام، فإذا بشفتي عدنان محمد الله على سلامته طالبة منه ألا يقلق، بينما تساقطت دمعتان من عيني شادي، صمت هشام ولم يتساعل عن مكان وجوده، فهو يعرف ما فعل في ليلته الفائتة، كما أن ألم الوجد الجسدي أقل بكثير من أنين القلب المهزوم بحياة تختاره كل يوم، دون أن يشارك ولو لمرة واحدة في اختيارها، أو أن يجد من يشاركه أحزانه، حتى أنه نهض طالباً من صديقي صدفة العلة الساخنة الصمت، حين طلبا منه أن يتصل بأهله لكي يطمئنا على ابنهم.

تساقطت من هشام دمعات غير عابرات باحثة عن أبيه الذي مات وتركه صغيراً مع إخوته في قرية الجبيلات في محافظة الغربية، دارت في خلده ذكريات عصبية، وكان هشام كان بحاجة لمثل هذا المشهد ليقف مع ذاته فظل يردد : (كنت بحاجة إلى حياة.. إلى يد قوية أحملها وأدافع بها عن نفسي، فقد عشت حياة ضائعة، لاشيء فيها سوى أمل يتيم يحملني بأن أكون...)

الكنونة كانت كل شيء بالنسبة لي، بل كانت هدفي في الحياة، كنت أبحث عن فعل من أفعال الحرية، عن حاجة تغطي عريي، فقد نشأت في قريتنا بمحافظة الغربية يتيمًا، ضعيفًا، لا حيلة لي. كان الناس يسبونني ويضربونني كلما جاعوا وكلما راحوا، ليس لشيء سوى أنني يتيم الأب ولا عائلة لي، وأمي امرأة قليلة الحيلة..

مازالت ذاكرتي تذكر ذلك اليوم جيدًا، حين تشاجرت مع ابن جار لنا.. ثم جاء أبوه وأخذ يضربني وأنا أجري أمامه، وهو يقذفني ذات اليمين وذات الشمال بيديه الغليظتين.. بينما ابنة عمي تقف فرحة سعيدة بدموعي وعذابي.

كان اليوم جمعة وكنت مرتديًا ذلك الجلباب الأبيض -أفضل ما عندي- وقد مزقها سعيد ابن جارنا هذا، فقد أمسك بي من صدرها فضربته بالقلم الذي رد لي عشرات الأقلام، ولم يتركني هذا الرجل القاسي إلا حين سقطت على الأرض فاقدًا للوعي ولم أحس بشيء بعدها.

كلما تذكرت هذه الحادثة أصر على التحدي، أن أقول: لا للظلم والاضطهاد في العالم كله.. لذا عملت بالصحافة لسنوات تحت التمرين، أبحث عما أقوله، عن ولادة حقيقية لكلمة شريفة غير مغموسة بالذل والعار.. عملت مع عشرات المدعين من رؤساء تحرير لا هم لهم سوى جمع الأموال والسلطة، وركل كل القيم بأقدامهم، فقد كنت أستعير الصحف من زملائي وأنا أدرس في كلية دار العلوم وأقرأ لأحمد عبد اللطيف، ذلك الكاتب الذي حفر مساحات من الحرية بكلماته، وجعل هذا الوطن بستان حرية وليال من الأمل

بعد ظلامها في عينيّ، كلماته تحملني إلى هناك.. إلى عالم من العدالة الاجتماعية، وكدت أبكي حين استمعت عبر الراديو الصغير - الشيء الوحيد الذي امتلكته في حياتي حيث أهداه لي خالي الذي يقيم في ليبيا حين عرف بنجاحي في الثانوية العامة - إلى أحمد عبد اللطيف يتحدث بفخر؛ كيف كان أبوه البسيط الذي علمه يصر على عدم إدخال المال الحرام إلى بيتهم، وسمعت لأول مرة أسماء مثل لينين وثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ والحرية وقيمة القلم، من أحمد عبد اللطيف... كدت أبكي، بل بكيت طوال استماعي للإذاعة، وهو يتحدث عن نشأته التي تشبه نشأتي كثيرًا.

بل لا أخفيكم سرًا إذا قلت أن أول صحيفة اشتريتها في حياتي كانت صحيفة "الغد المشرق" التي يترأس تحريرها ويمتلكها.. بل ومن أجل كلماته قاطعت المنتجات الأمريكية والإسرائيلية، وحتى الآن حين أرى زجاجة كوكاكولا أو بيبسي أمامي أحس بالغثيان... كان يكتب:

" قاطعوهم.. ولا تخونوا الوطن.. الوطن بحاجة إليكم أنقياء وأقوياء.. ألقوا بما يصنعون على الأرض حتى تعرف أياديهم الغارقة في دماننا قيمة الجرم.. إنهم يسبون الإسلام ويدوسون القرآن بأقدامهم ويركلون أمهاتنا في فلسطين... قاطعوهم لأجل الدم العربي الطاهر المراق من الأرض إلى السماء، ولا تهنوا ولا تتراجعوا، فهذه الأرواح الطاهرة ستدعوا عليكم، ستنهكم بالمهانة والخيانة والمذلة" وفي لقائي بالأستاذ أحمد عبد اللطيف أدركت لماذا خرّ موسى صعبًا!... حين امتدت يده لتعانق يدي، تغرغرت عيني بالدموع،

وتوقفت الكلمات في فمي.. أردت الانحناء على يده وتقبيلا؛ تقبيل اليد التي تكتب هذه الكلمات والتي تهني القوة لأعيش، وحين وافق على أن أتدرب في صحيفته عزمت أصدقائي في الجامعة على عشرة "ساندوتشات" فول وطعمية، وظللت أسبوعًا بلا مصروف.

كنت حين أدلف إلى صفحات الجريدة أشعر وكأنني أطرق أبواب المجد، كانت قامتي تطال السماء، وفوجئت بإعجاب الأستاذ أحمد عبد اللطيف بأول تحقيقاتي، وكان عن رد فعل الشارع إزاء ما يفعله شارون في غزة، ولا أنسى ابتسامته المرسومة على وجهه الأسمر كصليب ذهبي، إذ أعجبه التحقيق، لكنه انتقد الحماسة الزائدة في قلبي، وتعجلي بالكتابة، كما انتقد لغتي الشاعرية، قال لي إن القارئ سيعتقد أنك تتفلسف عليه رغم أنك غير ذلك.

وأخذت التحقيق وكتبته مرة ثانية وثالثة، رغم إحساسي بأنه لن ينشر، ولكنني فوجئت به منشورًا في الصفحة الثالثة، أهم صفحة في الجريدة بعد الأولى والأخيرة، مع تنويه له في أعلى الصفحة الأولى. حملت الجريدة إلى أمي حين سافرت إلى قرينتنا يوم الخميس، وقرأته لها كلمة كلمة، كنت أنظر إلى عينيها وعيني أختي المحملتين بالفخر والإعجاب.. كانت نظرات التشجيع من أمي تجعلني أشق عنان السماء، لكن المصيبة الكبرى التي لم أنتبه لها في غمرة الحماس وتحقيق الذات، حين عدت إلى الجريدة ووجدت الأستاذ أحمد عبد اللطيف منحنياً أمام الجريدة على ابنه ويفتح له كيس شيبسي، وابنه يمسك بزجاجة بيبسي كولا، وزوجته ترفع زجاجة أخرى إلى فمها..

لكم ضحكت من الأعماق، كما أعجبت من الأعماق بشخصية الأستاذ أحمد عبد اللطيف، علمني الرجل كيف أسرق النار، كيف أزرع غيطاً من نباتات الحرية، عرفت الشرف والنبل من عصير كلماته، وكنت أشعر أن طقوس كتابته الموضوع قبل الإمساك بالقلم، والأروع من هذا كله أنني لم أستطع التعلم منه بأن أكون ممثلاً كبيراً!.
 في اليوم الذي قرأت فيه مقاله عن جمال عبد الناصر وعن القومية العربية وعن لم شمل العروبة والوحدة يا عرب، رأيته عبر فضائية عربية يدعو إلى كل ما هو ضد الوحدة، لا لشيء سوى أجولة من الدراهم والدنانير.. الممثل الكبير يؤدي دوره الآن على المسرح ببراعة، يتعلم منها أساتذة المسرح في العالم كله، حين هاتفني صديقي معد البرنامج ومنسق الحلقة، وحكى لي كيف تم الاتفاق مع الأستاذ أحمد على ما سيقوله، وكيف أطل الفصيل ليزيد تثمين كلامه، لم أندesh، فصدمة الخيانة الأولى تفوق كثيراً كل الخيانات التالية.

ظللت عاماً كاملاً لا أعمل بالصحافة، قررت البحث عن مهنة أخرى، أن أعمل مزارعاً أجيراً كما كان أبي - رحمه الله - أو أعمل فاعلاً في المعمار مع عمال التراهيل، لكنني كنت أبحث عن ضياع من نوع آخر تيه تذهب فيه دون عودة إلى أمس... رحت أعيش حياة الليل في

قاهرة المعز، ولم يكن لييلها يصلح بلا نساء، فإذا جاءت الرابعة صباحًا، رحت أعب الليل في صدري، أتلفت حولي، واجهات المحلات صماء، الأرصفة صدئة، الرائحة عطنة، لكن حين يبدأ ليل القاهرة وتتمايل فيه النساء، تتحول واجهات المحلات لمرايا وتضيء المولات بالبهجة، وتتحول الأرصفة إلى سيمفونية لا بطل في عزفها سوى أقدام النساء.

أقمت غراميات مع النساء ومع أقدامهن، وتعرضت لإهانات لا حصر لها، مشيت ذات مرة وراء امرأة شبه عارية بعد الواحدة صباحًا في ميدان عبد المنعم رياض، أعرف أنها راقصة، ولكني حين قمت بمعاكستها ادعت العفة، فقلت لها:

- ماتعمليليش خضرة الشريفة يا روح أمك.

وفوجئت وأنا أنطق "روح أمك" برجل ترفعني من الأرض عدة أمتار وتقذف بي في وسط الميدان، لم ألحظ أن رجلها قادم خلفي، وحين وقعت إلى الأرض وشاهدته عن بعد لم أستغرب قوة ركله قدمه، إذ لم أستطع أن أتبين طوله من عرضه، كل ما استطعت فعله أثناء قدومه تجاهي مسرعًا الجري بأقصى سرعة، ولم أتوقف إلا في ميدان رمسيس.

وهكذا عدت مرة أخرى للقهر، ولكنه قهر بفعل فاعل، هو نفسي هذه المرة، فأنا لا أحس بمتعة الليلة إلا إذا تعرفت إلى امرأة، بل وحين تهينني واحدة منهم أضحك من كل قلبي.

لكنى بالأمس لم أضحك، فقد كنت أرى في هذه الفتاة المرأة/المثال،
المرأة/الحب، المرأة/الحياة.

أحسستها مختلفة عن كل امرأة عرفت، وكل جسد تعرى أمامي، هي
الوحيدة التي أريد الزواج منها، فعلى الرغم من عشرات النساء
اللواتي تعريت معهن، إلا أنني لم ألج امرأة منهن في طيلة حياتي!.
رغم عشرات النساء اللواتي التقيتهن، إلا أنني أرفض الزنا.. أخافه
كثيراً!.

ذات مرة حاولت امرأة في لحظة نشوتها أن تولجه داخلها وهي
متشبثة به بكل إصرار، وبكل ما أملك من عزيمة وإصرار قلت يارب
خلصني من مأساتي، فقد كانت النشوة بالنسبة لي مأساة وخجل حين
أقف لأصلي بين يديّ الله..!

أستغرب نفسي كثيراً حين أجدو وأجىء خلف النساء في مول هيلتون
رمسيس، وحين أستمع إلى أذان صلاة العشاء أركض لأتوضأ في
حمامات المول ثم أدخل لأصلي جماعة.. أستغرب نفسي لأني لم
أستطع التخلص لا من النساء ولا من الصلاة.. وأجمع النقيضين
وغيرهما من متناقضات الحياة.

(٨)

اثنان أعطياتي الأمل في أن أتخلص من تناقضتي، وأن أعود إلى الصحافة مرة أخرى.. امرأة أحببتها، ومجدي منها.!

- ما الذي كنت أبحث عنه ؟

صدقني لا أعرف يا عدنان، لكنني كنت بحاجة إلى حب، هذا ما عرفته بعد ما عشت واحدة من أروع قصص الحب في حياتي.

كانت نهال امرأة لا تشبه النساء، ولا تشبه البشر في شيء، كائن نوراني تحول إلى بشر.. خلقت قبل النساء بكثير، كأنها ليليت الأسطورية، بعينيها السوداوين المشعّتين وأنفها الدقيق وفمها العصفوري وجسمها "الباليرينا" وشغفها بالحياة.

مصادفة وحيدة غيرت مقادير حياتي حين نمت في سيارة ميكروباس وصحوت فجأة متوقّعا أن محطتي مرت، ووجدتني أمام دار الأوبرا، فإذا بها أمامي وفي عينيها بعض من صلاة، شعرها الهادر خلفها كحصان بري يلهث بحثًا عن مصير، قررت كعادتي التحدث إليها.. حاولت كثيرًا، ساعة كاملة، وهى تعبر شوارع وسط البلد وأنا خلفها حتى وقفت أمامها، عزّقتها بنفسى مدعياً أنني أكتب برنامجًا تليفزيونيًا، وأبحث عن وجوه جديدة.

بكذبة إذن بدأت أروع قصص حبي، بل وأوحدها..

راقت لها الكذبة لأنها كانت قد انتهت لتوها من بروفة في الأوبرا حيث تحاول أن تحقق مجدها بصوتها.. وهنا ألححت عليها أن تغني لي، وجلسنا في كافيتريا الأوبرا، كان صوتها أرق من زقزقة عصفور جميل، وهدير ماء نهر يلحن تغريده على سيمفونية الطبيعة الخالدة صاحباً من نومه.

عرفت معها شوارع ليس لها أسماء، ومقادير لا تمنح الغرباء أريحيتها بسهولة، عرفت معها أن الحياة تستحق أن تعاش مرة أخرى. كانت امرأة "تشبه المستحيل إلا قليلاً".. قليل من بحثها عن نفسها وعن حياة مدهشة تملؤها الشهرة والبريق.

وفي لقاء طلبت منها أن تحدثني عن حياتها، وأنه لا يغيبني إلا يوم أن عرفت، فلست أنا من يحاسب فتاة على ماضيها، كنت أقنعها بمبادئ لا أؤمن بها، وأفلسف كلامي بنظريات وقصص حب شهدتها التاريخ، راحت تحكي لي عن تجربتين مرت بهما في حياتها، التجربة الأولى مع قائد أوركسترا شهير أقنعها بالوصول إلى المجد إذا وصلت إلى عتبات بيته، وتم الاتفاق بينهما على العودة بعذريتها وكان على قدر اتفاقه، عرفها على عالم المشاهير من خلال سهرات الكازينوهات العائمة، وراح يلتقط لها صوراً مع كل المشاهير، بينما تستمع بأذنيها لكلام أصدقائه وصديقاته عن العصفور الجديد الذي وقع في القفص، وعن الفنان الذي لا يستطيع أن ينام الليل دون أن ترتكز امرأة على ذراعيه في شقته بالزمالك، راحت تتغاضى عن كل هذا، وتتحمل أنفاسه اللاهثة وهو يروح ويجيء فوقها كمراهق

صغير، راحت تتحمل قشعريرة جسدها وهو يجلس بين فخذيهما يلوكمها مثل قطعة أفيون، تحملت كل شيء معه حتى قبلاته على دبرها ومحاولاته الفاشلة لاغتصابها من الخلف.. كانت أنفاسه السكرية كل ليلة تصيبها بالغثيان، لذا قررت الشراب حتى تنسى رائحة فمه وتنسى طريق الآلام الذي وضعت قدميها عليه.

عام كامل بين قبلات واشتهاء ووعود، وفجأة ملها القرصان فألقى بها على أعتاب بابه مطالبها بالجوء إلى شوارع الزمالك الساكن ليها والنائم ظلماها كأسد عجوز.

الرجل الثاني في حياتها كان في بداية الأربعينيات من عمره، يعمل مساعداً لواحد من كبار المخرجين في مصر، وقرر أن يخوض تجربته الأولى في الإخراج بإسناد دور البطولة إليها، هكذا البطولة مرة واحدة، وراحت من تجري وراء لا شيء سوى ذلك البريق الذي يبدو كالسراب، تملأ كأس الحب مرة أخرى، وجدت نفسها هذه المرة في شقته في شارع عدلي وسط البلد، عام كامل أيضاً قضته بين جدران بيته، مع الشراب راحت تدخن لأنه يدخن بشراهة، ورائحة السجائر تصيبها بالغثيان، وعلى الرغم من إحساسه بذلك، ومحاولاته استجوابها إن كان التدخين يضايقها، لكنها أخبرته أنها لن تضايق الرب الرخامي في شيء، راحت تأخذ السجارة من بين شفتيه، وهى الجالسة بجواره على سرير الحب، منشدة كلمات نزار قباني:

(دخن فإن تدخينك يغريني

ما أروعك من رجل في لحظة تدخين)

ترك لها كل شيء في حياته لتتحكم فيه: شقيقته، محفظته، وسجائره وأنواع أكله، حتى أنواع الجبن التي يتناولها في الصباح، كان يعرف بحثها عن رجل تنظم له أشياءه.

وفي ليلة قدم لها هدية عمرها، عقد بطولته لفيلمه الأول "امرأة العاصفة" ووقعت على العقد، ووقع هو على كل شيء... منحته كل جسدها دون تردد، ردًا لجميل لم يتم بعد، وظل لأشهر ثلاثة يعب من فتنتها، ثم ألقى بها على أرصفة وسط البلد بعد أن مزق العقد الوهمي، وبعد أن سحب كل اعترافاته للجميع بأنها حبيبته ومشروع زواجه المقبل.

تأخرت كثيرًا في اكتشاف حقيقته، على الرغم من سماعها أكثر من مرة لآهات امرأة أخرى في مكتبه أو شقيقته، إلا أنها لم تجرؤ يومًا على الدخول إليه في صلاته الجنسية، لأنها كانت تعلم مدى شبقه بالنساء وولعه في هذه اللحظات التي يشبه فيها المدمن الذي وجد جرعه.

حين صرخت فيه مطالبة بثمن شرفها، ألقى لها بألفي جنيه وهي على السلم:

- روعي اعلمي عملية ترقيع بـ ٣٠٠ جنيه، والباقي علشانك.

تاھت كثيراً في شوارع القاهرة حتى وصلت إليّ، أنا الذي أدعيت بأنّي
القديس الذي يغفر أخطاءها الماضية، ولم أرحم دموعها وهى تحكي
ليّ، هويت عليها بعدة صفعات، لقد أحسست أنها دمرتني، فلم أحب
في حياتي امرأة مثّلها، ولطالما حلمت بها زوجة وأمّاً لأولادي.
"سأسمى الولد يوسف والبنت جنى"، هكذا قلت لها ذات مرة، وأضفت
أن الولد والبنت يجب أن يكونا شبيهك وأن يحملّا مساحة الطهر التي
تحملينها.

أسبوعان لا أراها ولا أهاقها، لكنني كنت معذباً ليلال وأيام أحتسي
دموعي وأوصد أبوابي على نفسي، ظلت الدنيا سوداء في عيني، إذ
خرجت إلى الشوارع أنف شعري رأسي بشكل عصبي.
وذات يوم استمعت إلى صوت أصالة تغنى:
(مايقاش أنا)

لو مارجعتش ليا بقلبك تاني هنا
لو ما حلمتش إن الثانية فـ بعدي سنة
لو ما أمنتش إن الجنة فـ حضني أنا
مايقاش أنا).

هرعت إلى الهاتف وألححت عليها، وعدنا، وعدتها بغفران كل شيء
في حياتها، أن أسامحها، وكثيراً ما لمت نفسي أمامها، فالزمن

والوحدة والضياع كانت أكثر قسوة عليها وهى السبب فيما وصلت إليه، كنت بحاجة إلى حضنها كطفل أضاعه أبواه، ورحت أنام في حضنها في حفلات السينما المتأخرة، فليس معها في البيت سوى أمها المتزوجة من رجل آخر لا يفيق من دخان حشيشه، وأبيها الذي لا يراها سوى مرة كل عام حيث يعيش مع امرأة أخرى.

وبعد إلحاح طويل اعتادت قدماها على شقتي الرديئة بأثاثها، إذا كان فيها ما يصلح للتسمية بهذا الاسم، لعلها المرأة الوحيدة التي ولجتها في حياتي، فقد عاهدت الله أمامها وأمام نفسي بأنها زوجتي.

ظللنا عامين في وداع وفراق، ووله وبعد، حتى تسرب الملل رويدًا رويدًا إلينا، لكنها لم تنتظر أن ألقى بها على رصيف الحياة، فبيتي لا يختلف كثيرًا عن الرصيف، فهو عارٍ من كل شيء ما عدا الحب...

ولا أعرف أين ذهبت؟ ظللت عامًا كاملاً أبحث عنها، حتى عرفت أنها تغني في ملهى ليلي بالفيوم، تحدث كل شيء وذهبت إلى هناك بمفردي، بحثت في كل ملاهي الفيوم حتى عثرت عليها من صوتها، ووجدتها ترتدي فستانًا عاريًا يكشف عن نهديها اللذين مازالا يحتفيان ببهجتهما رغم لمسات الحياة القاسية. هجمت عليها وصفعتها على وجهها وسحبتهما من يدها، لكني لم أدر بنفسي إلا ثاني يوم في شقتها بالفيوم، مكوم كجوال، فقد كانت بينها وصاحب الملهى قصة غرام طويلة، ومن ثم أشار إلى رجاله بالإشارة المتفق عليها.

ووجدتها تحاول تضמיד جراحي وتبكي... كانت تبكي لأنها أضاعتني وأضاعت نفسها. ثم عادت معي إلى القاهرة، وبعد محاولات عديدة

بأن ترجع عن هذا الطريق قررت الذهاب إلى جدتها في الشرقية والإقامة عندها، قمت بتوصيلها بنفسي إلى هناك، وكان الأكثر دهشة ارتداؤها الحجاب وابتعادها عن هذا المجال نهائياً. وبعد عدة سنوات عرفت أنها تزوجت من ضابط وتعيش حياتها في هدوء وصمت.

لكنى كعادة الشيطان الساكن داخلي ذهبت إليها في شقتها كثيراً.. حيث كان زوجها لا يبقى معها سوى عشرة أيام، وراح ينتابني الملل كعادتي.. رحت أبحث عن نفسي التي أجدها معها، لكن وجدتي أهرب من نفسي في وجودها، لم تعد المرأة الحلم، لكنها أصبحت المرأة التي تخون، ورحت أتصور نفسي زوجها ورجل آخر سواي ينام في سريرى معها.

إحساس واحد تسرب إلى نفسي: الاحتقار.. الاحتقار لها ولزوجها ولنفسى، وراح ضميري يعذبني، فأنا الذي حولتها إلى زوجة تخون زوجها، ولو كنت أبقيت على حياتها معي، لما وجدتي أهيم في الشوارع بحثاً عن جسد يشبعني وينهي عذاباتي، لكن عذاباتي لا تنتهي، ففي كل ليلة أبحث عن عذاباتٍ أخرى، وأجساد كالشقق المفروشة يسكنها كل ليلة زائر جديد.

غيرت رقم هاتفي وعدت إلى صلاتي، حاولت أن أنجح في عملي بكل الطرق، حتى صدرت صحيفة "الصوت الحر"، وانضمت إلى كتيبته، أحاول بكل الطرق أن أحفر اسمي ومكانتي من خلالها، وحين أتوقف عندها أحس بأن هذه الصحيفة كانت سفينة الإنقاذ بالنسبة لي في حياة لا شيء فيها يدعو إلى الحياة.

(١٠)

من عادة هشام أن يتجاهل المكالمات التي لا يظهر رقمها على هاتفه المحمول، ليس لأنه يرى نفسه شخصية مهمة، ولكن لأن له صديقًا يقيم في أوروبا ويتحدث لساعات عبر الهاتف دون هدف سوى التخلص من وحدته، بينما كان هشام بحاجة إلى يد قريبة منه تخلصه من وحدته القاتلة ومن عذابه اليومي في القاهرة المعز التي يتوه في شوارعها كل ليلة، ولا يدري لماذا قرر أن يرد على هذا الهاتف، ولا يدري كيف عرف أنه ليس صديقه :

- ألف سلامة عليك

- الله يسلمك

- من معي؟

- داليا

لم يكن يعرف اسمها، ولكن صوتها كان كافيًا ليخبره بالأمان، ويعلمه بوجود الراحة الأبدية لحياة كلها ملل وعذاب وصمت، ولم يعرف ماذا يقول لها؟

تركها وهي تحاول الاعتذار له بعدة كلمات، وراح يقول لها :

- لا تعتذري يا سيدتي، فأنا بحاجة إلى الاعتذار إليك على تأخري في لقائك، وعلى ضياعي لأيامي في أشياء تافهة، لم أكن أعرف أن السعادة تسكن مول هيلتون رمسيس، وأنني سأجد ما ظللت أبحث

عنه طوال سنوات حياتي كلها... أن الألوان للعصفور المسافر أن يستريح فقد وجد عشه، وأن لليالي المظلمة أن يظهر فيها قمر ليضيء تلك العتمة البرية التي ظلت تسكنني لسنة وثلثين عامًا.

- هذا يعني أن عمرك ٣٦ سنة، مع أنك تبدو أصغر بكثير.. هكذا قالت ضاحكة ثم أردفت: لا أعرف إن كان لقائك لي سببًا لسعادتك أم لتعاستك، فقد ظللت بسببي ثلاثة أيام ترقد في المستشفى، وهذا دليل تعاسة وليس دليل سعادة.

عرَفَ أنها كانت تتابعه وتتحمس أخباره، لم يحاول أن يسألها عن دليلها، لكنه سألها عن موعد، فوعده باللقاء، حاول الحصول على هاتفها، فلم تزد على وعد بمهاطفته ثانية وأغلقت الخط.

هل يظل هشام مسكونًا بالبحث عن النساء بعد هذه المهاطفة التي أحس معها أن الله يحبه كثيرًا، فقد هداه إلى الصواب والراحة من العذاب؟... راح هشام يسأل نفسه:

"صوتها يشبه الملائكة، رغم أن أيًا من الملائكة لم يرفع السماعه ويهاطفني قبل ذلك... ووجهها يشبه الملائكة، رغم أنني لم أر الملائكة قبل ذلك، وأي من البشر لم ير الملائكة لكن حين يعجبنا شيء بريء نشبهه بالملائكة، فهل أحكي لهذا الملاك قصصي وحياتي التي قضيتها من علبة ليل إلى أخرى، على الرغم من أنني لا أشرب الخمر وأحترم المحجبات والمنتقبات، وعلى الرغم من أن بنات الليل اللواتي عرفتهن كان عدد المحجبات منهن أكثر من عدد غير المحجبات، وعلى الرغم من أنني لا أترك فرضًا وفعلت كل شيء أعتبره طيبًا في

حياتي، وتعاملت مع أرقى الناس وأحطهن، هل أنا بحاجة إلى طبيب نفسي؟! ربما!

لكم تداخلت حياتي الخاصة بحياتي العملية لدرجة أنني حاولت أن أكتب تحقيقاً صحفياً عنوانه "قوادون وليسوا بوابين"، فقد علمتني شوارع وسط البلد أن أعرف نوعاً من البوابين استطاعوا استغلال الغرف الخاصة بهم؛ حين لا أجد مكاناً، ومازلت أذكر كيف أعترتني الحيرة وصديق لي حين لم نجد مكاناً ولا حتى امرأة، فقد وعدتنا أم تفاحة - قوادة وسط البلد الشهيرة، والتي نذهب إليها حين نحتار - لكنها كانت قد وزعت بناتها في تلك الليلة، وكانت الرغبة عارمة لدي وصديقي فقلنا لها نرغبك أنت، على الرغم من أنها في الخامسة والأربعين وجسدها مكتنز، إلا أننا كنا بحاجة إلى أي شيء، ودللتنا على بواب في شارع شامبليون، اتفق على أن يؤجّر لنا حجرته ساعة مقابل خمسين جنيهاً، وأصر صديقي على أن يدخل أولاً لأنه لن يتحمل حتى انتهى أنا، دخل ووضع البواب القفل على باب حجرته من الخارج، مقابل مائة جنية، ووقفت معه أمام باب العمارة. وما هي إلا دقائق حتى سمعت سيل من الشتائم تقذف بها أم تفاحة صديقي، وفتح البواب القفل لتخرج أم تفاحة وتقذفني بيدها المغمضة في وجهي وتسب كل من يعرفني، وقبل أن تعبر إلى خارج العمارة استدارت قائلة: لو شفتك في أي شارع من شوارع وسط البلد مرة ثانية هأمسح الأرض ببك وكرامتك يا ابن اللي عمرها ما قالت لأ. ثم بصقت عليّ وذهبت، بينما كان صديقي يستلقي على قفاه من

الضحك، سألته وكلي غضب عما حدث، أخبرني أنه دخل معها وجلس على سرير البواب وطلب منها أن تنزع كل ملابسها، وعلى الرغم من بياض جسدها إلا أنه كان مترهلاً، نظر إلى ثدييها المتدليين حتى منتصف بطنها، ثم نظر إلى وجهها ولوح بوجهه يميناً وشمالاً علامة الرفض، أخبرها أنه لا يستطيع النوم معها، طلبت منه نقوداً، رفض لأنه لم يفعل شيئاً.

ظللت حائرة: "هل ألدع داليا حياة وهمية، منهاجها الصدق والاحترام، أم أكشف لها عن أني لست سوى قناع زائف يتراكم فوق كمية من العفونة توازي العفونة الملقاة في شوارع وسط البلد.. ثم من يدريني إن لم تكن هي مثلي، عاشت حياتها بالطول والعرض، وسوف تدعي الشرف وتجري عملية ترقيع لغشائها مقابل ثلاثمائة جنيه.. فحتى الشرف أصبح الناس يشترونه ويخدعون به الآخرين، وبكم؟ بثلاثمائة جنيه!"

الدين والجنس متلازمان ظلاً يتسابقان داخلي، من الذي يتغلب على الآخر.. من الذي ينتصر، من الذي سوف ينسحب؟! لا إجابة أعرفها، ليتني أستطيع ترك أحدهما.

- ليكن الجنس..
- لا أستطيع العيش دون جسد
- تزوج
- لا أستطيع الاكتفاء بامرأة واحدة

- تزوج أربع
- أريد أكثر
- ليكون الدين إذن
- ليس لدي وازع أخلاقي
- وهل الدين بديل عن الوازع الأخلاقي؟
- ليس كذلك، ولكنه يمنحني الراحة النفسية، كما أنني أخاف الله..
- أخافه.. أخافه.

توقف هشام عن حديثه مع نفسه، مستغفراً ربه لأنه ارتكب سيئات، طالباً منه بأن يسامحه، ومتمنياً ألا يكون قد وقع تحت قصف المحصنات، ومن عادة هشام أن يتذكر الله دائماً بعد كل علاقة أو موقف مشين نادماً، والشيء الوحيد الذي لم يندم عليه كتاباته التي تصيب بالوجع؛ أولئك الظالمين الذين يتحكمون في مصير البلاد، ودائماً تجذبه القضايا الصحفية التي تعرض قوم بسطاء فيها لظلم..

وهذا ما جعل ذكرياته تتداعى حين كان مستقلاً "ميكروباص" - فالحب عنده يبدأ من الميكروباص وكذلك الخطبات الصحفية - يسمع راكباً يجلس بجواره، يتحدث مع راكب آخر أمامه عما جرى في قرية البرجيّة عن اعتداء مجموعة من رجال الأعمال على مائتين وخمسين فدائاً ملكاً لأهالي القرية ومحاولتهم الاستيلاء عليها بمساندة رئيس المباحث، ذهب إلى هناك، التقى الأهالي/ وظل ثلاثة أيام في قرية البرجيّة يرصد ما حدث، لكنه لم يكن يعلم أن هذه بداية الشرارة، ففي مساء اليوم الثاني قام رئيس المباحث مع قوة كبيرة بتجريف أراضي الفلاحين المزروعة بالقمح.

صعد هشام إلى سطح أحد بيوت القرية يسجل بقلمه وكاميرته ما يحدث، وبكى.. بكى كثيراً حين شاهد رجلاً يسحل أمام عينيه، بكى لأنه ظلم كثيراً في حياته.. بكى لأنه تذكر أهالي قريته.. وبكى أيضاً

لأن الرجل المسحول كان يحمل ملامح أبيه إلى حد كبير، ولما حاول عمدة القرية الأفراد برئيس المباحث جانباً في محاولة منه لإقناعه بأن هناك طرقاً أخرى عديدة خلاف التجريف عيني عينك، وكان من الأفضل حرق المحاصيل في الليل والأهالي نائمون... لكن رئيس المباحث تركه بعد أن لكمه في كتفه وهو يقول بصوت مرتفع:

- أنت ها تعلمني أعمل إيه يا روح أمك؟

لكن صوتاً قاطعه وهو يهبط من سيارته الفارهة:

- معه حق يا أدهم بيه.

ارتبك رئيس المباحث حين رأى المحافظ أمامه، اقترب منه مسلماً، وحدثه هامساً بأن رؤية العمدة هي الصحيحة، وإذا به يرفع صوته في مواجهته:

- لازم الكل يتحاسب.. كل من اقترب من قوت هؤلاء الغلبة وسلبهم حقوقهم وجرف أراضيهم، لابد أن يدفع الثمن غالياً، وأولهم أنت.. أوقفوا هذا العبث، ولينام الجميع في أمان، فكل شيء غداً سيعود إلى حاله.

صدق هشام كلام المحافظ فهبط من سطوح البيت بسرعة واقترب من المحافظ وعرفه بنفسه، وأنه سجل كل شيء بالكاميرا الخاصة به، والتي عدلها على وضع الفيديو، وأنه سينشر حديث المحافظ هذا في الصفحة الأولى.

استشاط رئيس المباحث غضباً وأمسك بالكاميرا وقذفها بعيداً، ثم أمسك بهشام من ياقة قميصه ساباً ولاعناً له وللصحافة، ومن الذي سمح له بالمجيء إلى هنا؟!!

- تشريك لمائة وخمسين أسرة وتجريك لأراضيهم وسرقة الأمان من عيونهم هو الذي جاء بي إلى هنا؛ كي أكشف الفساد والجبروت الذي يمارسه من هم على شاكلتك... قال له هشام، لكنه لم يدرك شيئاً بعد ذلك، سوى وهو يفتح عينيه جالساً في مكتب المحافظ، واهن الصوت، مشلول الحركة.

استمع هشام لحديث المحافظ حول أن كل محافظ رئيس جمهورية في محافظته وأنه يجب المحافظة على الأمن والأمان لأن المرحلة الحالية لا تسمح بالشوشرة، وذلك لأن البلد يمر بمنعطف خطير؛ لذا فإنه سيعيد إلى الأهالي حقوقهم وسينتهي الأمر تماماً.

وبعد حديث طويل استجاب هشام محاولاً جعلهم يقتنعون بأن الأمر انتهى بالنسبة له وأنه فهم الأمور خطأ، وسوف يعود إلى القاهرة فوراً.

عاد هشام إلى القاهرة بالفعل، وبعد أن علم أن الدليل الذي يتبعه اقتنع وسيخبر من أرسلوه بأنه عاد إلى القاهرة، استقل ميكروباس من رمسيس إلى مقر جريدته، ثم عاد مرة أخرى إلى قرية البرجيلة ليس بمفرده هذه المرة، بل معه زميله المصور يعقوب إبراهيم، تسللا من طريق خلفي إلى القرية بمساعدة أحد الأهالي، تسلق هشام وزميله شجرتين عاليتين في الطريق الخلفي للقرية ليسجلا أسوأ ما

تفعله اليد الإنسانية، إذ راح رئيس المباحث بمساندة المحافظ يدمر بيوت القرية بالكامل ويلقي القبض على رجالها بتهم حيازة سلاح غير مرخص، والبلطجة وإثارة الشغب، والاعتداء على الضباط أثناء تأدية وظيفتهم، وحين ولولت النساء في البيوت ألقى رئيس المباحث القبض عليهن، وحتى يضمن عدم هروبهن أمر عساكره بوضعهن في عربات كبيرة، وربط شعورهن ببعضها البعض، مما جعل إحداهن تموت مختنقة بسبب وقوعها تحت أرجلهن، ثم ربط الفلاحين بحبال طويلة، وقدم المحافظ في سيارة أحد رجال الأعمال الكبار، إذ جاء رجل الأعمال ليهدئ من روع الأهالي، حين علم أن الأمر قد يتجاوز القرية، فالتقى خطبة عصماء في هؤلاء الفلاحين الذين يغطي الذباب وجوههم، وجلابيبهم ممزقة، وأيديهم مرتعشة في أصفادها.. قال رجل الأعمال صلاح جابر:

ذات يوم جاء فاسد كبير اسمه جمال عبد الناصر، فلاح فاشل وابن تاجر فحم لا يصلح لأن يكون أكثر من أجير يسقى البهائم في دوار أحد العمد، ولأنه كذلك بالفعل فقد سلب أجدادنا أراضيهم ليمنحها للقطاع مثلكم ظنوا أنهم أسيادا، وراحوا يضعون رؤوسهم برؤوس أسيادهم، وأن الأوان لينتهي هذا القبح ويعود الحق لأصحابه، فالإصلاح الزراعي الحقيقي أن نملك نحن وتعملون أنتم.

قاطع صلاح جابر صوت واهن، متعب ومكدود، خرج من بين أهل القرية قائلاً له:

- ك... أمك

هاج صلاح جابر، أخذ يركل الفلاحين الذين لا حول لهم ولا قوة
بقدميه، ثم جعلهم يمضون على عقود بيع وشراء على المائتين
وخمسين فدائاً، أشبعهم العساكر ضرباً حتى يوقعوا ويبصموا على
العقود، بينما راح المحافظ ورئيس المباحث يهنئانه، وفرضَ كردون
أمني على القرية لكي لا يخرج أحد، أو يصل الخبر إلى الصحافة
ومراكز حقوق الإنسان.

وبعد أن شاهد هشام كل ما حدث والتقط يعقوب الصور وسجل لقطات
فيديو، نزلا من على الشجرة واختبأ في شجر كثيف الأوراق بجوار
الترعة، وبعد نقاش سأل الدليل عن كمبيوتر وتليفون في القرية،
واندهش الرجل لأن التليفون الوحيد موجود في بيت العمدة، ولو أن
هناك تليفونات فلا بد أن كل الأسلاك قد قطعت الآن مع هذا التدمير،
بعد تفكير طويل نقل يعقوب وهشام الصور من الكاميرا إلى هاتف
هشام المحمول الذي سارع بإرسالها على تليفون رئيس التحرير.

في اليوم التالي خرجت الصحف الحكومية بأخبار عن أن بعضاً من
البطجية في قرية البرجيّة سرقوا السلاح واعتدوا على بيوت أحد
رجال الأعمال الشرفاء، ويدعى صلاح جابر، واعتدوا على زوجته،
ولما حاول بعض ضباط الشرطة الخائفين على أمن الوطن ومصالحته
التدخل، انهال هؤلاء البطجية عليهم بالهراوات وكعوب البنادق،
وسقط أمين شرطة قتيلاً أطلق عليه الرصاص أحد هؤلاء البطجية..

لكن صباح صحف القاهرة في اليوم التالي كان خلاف أي صباح،
نشرت جريدة "الصوت الحر" الصور على ثمانية أعمدة في الصفحة
الأولى، مع تغطية شاملة كتبها هشام قلبت العاصمة رأساً على عقب:

(تبدو جهنم بقعة من الجنة بجوار ما حدث في قرية البرجيلة في الأيام الخمسة الفائتة، حيث رأى النظام أنه أقوى من العدل، ورأى الظلام أنه أقوى من النور، بينما رحنا نحن نبحث عن نقطة ضوء هناك، هناك كانت جريدة "الصوت الحر" تبحث كعادتها عن الحقيقة.. الحقيقة التي يحاول بعض الصبية ممن اعتقدوا أنهم أقوى من القانون، بل وأقوى من الحياة نفسها بأن بإمكانهم دفنها مع رماد الأهالي الفقراء، الذين يلتحفون السماء كل ليلة ويحلمون برغيف صهرته الشمس مثل وجوههم، يأكلونه كل صباح مع بعض المش والجنة القديمة.

٤٠ سيارة أمن مركزي وكتيبة من قوات الأمن و٧٠ فلاحًا و٣٠ سيدة مكبلون في العراء في حصاد من الظلم والطغيان، الرجال مربوطو الأيدي، والنساء -ومن يصدق- ربطوهن من شعورهن ببعضهن البعض، ولولا الصور المنشورة مع كلامي لما صدق أحد أن هناك طغيانًا وصل إلى هذا الحد، وكل هذا لأجل عيون الإقطاعي ورجل الأعمال المعروف صلاح جابر... نريد أن نعرف المبلغ الذي باع به المحافظ ورئيس المباحث ضميرهما ووطنيتهما لصلاح بك؟! بالتأكيد المبلغ يتجاوز الملايين..)

كتب هشام ما حدث له بين المحافظ ورئيس المباحث. راحت عشرات المكالمات تنهال على جريدة "الصوت الحر"، من أناس يرغبون في معرفة المزيد، ويرغبون في محادثة هشام ليسمعوا بآذانهم ويتأكدوا أن ما حدث حقيقة، ولم يكن حكاية من حكايات الجني الأحمر، بينما

راح المحافظ ورئيس المباحث يتوددان لرئيس التحرير طالبين منه نشر تكذيب لما حدث، وأن يكتب مثل الصحف الحكومية، ولما رفض رئيس التحرير قدم له صلاح جابر عدة ملايين لشرائه، ووافق رئيس التحرير ووعدهما باللقاء صباح الغد في مكتبه، وفي الصباح كانت جريدة "الصوت الحر" تنشر مقالاً يحتل منتصف الصفحة الأولى بقلم رئيس التحرير عنوانه: "ملايين صلاح جابر لرشوة جريدة الصوت الحر"، وكان رئيس التحرير قد سجل المكالمة وكشف فساد صلاح جابر، بل وتمادى رئيس التحرير، في خطوة لم يسبقه إليها أحد طالباً بكشف المساندين لصلاح جابر في الحزب ومن يدعمونه ويجعلونه يحاول شراء الأقلام.

وبينما كان هشام ذاهباً إلى بيته، وقبل أن يصعد إلى ميكروباس في ميدان عبد المنعم رياض أمسك به عدد من البلطجية، أخذوا يكيلون له الضربات، حتى تجمع حوله عدد كبير من سائقي الميكروباصات وأنقذوه من بين أيديهم.

وبعد ساعات كانت الضربة القاضية لرئيس المباحث والمحافظ وصلاح جابر الذين حاولوا تشويه سمعة هشام ورئيس تحريره عبر عدد من الصحف الحكومية، حيث ظهر هشام ومعه المصور في برنامج "٩٠ دقيقة"، تحدثا عن الواقعة بالكامل، وأنهما سيكملان القضية حتى النهاية، بينما اتصل أحد المسؤولين الكبار وكذب كل كلامهما، وأن الأمر كله كان بلطجة من قبل بعض الخارجين على القانون..

- لن أسمح لأحد بأن يزايد على وطنيتي
هكذا قال هشام، ثم طلب من مخرج البرنامج أن يعرض ما لديهم
وأخرج هشام الـ cd الذي نقله من الكاميرا وبه مقاطع فيديو
تعرض بشكل واضح ما حدث في القرية.
ما هي إلا دقائق حتى كان وزير الداخلية على الهاتف يعلن فتح
تحقيق على أعلى مستوى تحت إشراف رئيس الجمهورية، وعزل
ومحاكمة كل من يثبت اشتراكه في هذه الجريمة البشعة.
بكى هشام على الهواء، لم يستطع منع دمعاته المتساقطة، فلأول مرة
في حياته يرى للظلم نهاية، وبهذه السرعة، بينما راح أهالي قرية
البرجيلة يزغردون ويرقصون فرحاً، خاصة بعد أن قام ابن شقيق
صلاح جابر بقتله لأنه قتل والده منذ عدة سنوات واغتصب أرضهم.

لا شيء في العالم يبعد عن أحلام الأميرة هناء، التي كثيراً ما راودتها أحلامها في أن تسكن قصرًا في السماء، يقوم فيه ملائكة بأجنحة بالتهوية عليها وهي جالسة على عرشها، تشرب ماء لا يشربه أحد من البشر، وترتدي فيه ريش النعام، تسمح بدخوله لكل من شاهدها ذات يوم تتسكع على الأرصفة العربية مطرودة، بعد أن كشف أبوها من قبل كافة الأنظمة العربية حول مشاركاته في انقلابات ضد عدد من الحكام والملوك العرب، فما من عملية حدثت إلا وكانت له يد فيها بدءًا من عملية الديك الرومي للتخلص من جمال عبد الناصر ومرورًا بانقلاب رفعت الأسد على شقيقه حافظ في سوريا، وحتى التخلص من صدام حسين.

لقد مات أبوها قبل أن يتم تنفيذ حكم الإعدام على الرئيس العراقي صدام حسين، عاش حياته مطرودًا حتى سُمح له بالبقاء في مصر عبر وساطات قام بها زكي عبد الوهاب، الذي لم يكن وقتها رئيسًا للجنة وعضوًا في مجلس الشعب، وعلى الرغم من ذلك كان واسع النفوذ لدى "اللي فوق"، يعرف الساسة العرب ما فعله والد الأميرة هناء في آبائهم.. إلا أن الجميع هرول لحضور جنازته التي خرجت من مسجد عمر مكرم، كانت جنازة مهيبة حضرها أغلب قادة العالم ففيها ثلاثة رؤساء من أمريكا: جيمي كارتر وبوش الأب والابن

وهنرى كيسنجر ورؤساء روسيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، ومن كل البلاد العربية جاءت الوفود مع رؤسائها أفواجًا.. وكشفت الجنازة أن الميت لعب بالجميع وجعلهم يعتقدون أن أوراق اللعبة في يد كل منهم لكنها لم تكن سوى في يده هو.

ومثل أعياد ميلادها خططت الأميرة هناء لتكون جنازة أبيها جامعة للكل، لتقول من هي؟ لذا سقطت منها دمعات وهى تطل على البحيرات المرة من قصرها في لسان الوزراء في الإسماعيلية، إذ أن عيد ميلادها يوافق اليوم الذي اختاره أبوها للرحيل، ولأول مرة تحس أن أباه يخن عيد ميلادها، فهو يريد أن يرسل إليها رسالة تحمل كل معاني الحزن والأسى، يصبر على أن يحملها حزنه وقت رحيله، على الرغم من كل ما فعلته لأجله، وتناست للحظات ما فعله عمره كله لأجلها.

وكعادتها لا تفعل الأميرة هناء شيئًا، فلا استعدادات لعيد ميلادها ولا تحرك يتعبها، فقط تملي على داليا ما تريد، وتعرض عليها داليا قائمة بما سيتم وتراها قبل عيد ميلادها بأربعة أشهر، وتومئ بالموافقة، فالوزراء والفنانون القادمون من الدول العربية حجزت لهم التذاكر الخاصة بهم في درجات vip والمقيمون في مصر وصلت لهم الدعوات منذ شهر، وتحركت طائرات خاصة من فرنسا والصين وإيطاليا تحمل أشهر المأكولات التي جاءت ساخنة، وطائرة خاصة من سويسرا حملت أغلى أنواع الشيكولاتة، وعزلت الأنواع التي لا تحتوي على خمور جانبًا لأصدقائها من جماعة الأخوان المسلمين.

على الرغم من كل هذا زادت دمعاتها المتساقطة في البحيرات المرة على شيء يحمل إليها الضيق ويصيبها بالوهن، أنها تمتلك العالم شرقاً وغرباً.. شمالاً وجنوباً، تأكل من الصين وهي جالسة في مصر، وتحلي من سويسرا، لكن رفض شقيقها "فالح" حضور عيد ميلادها منذ رحيل أبيها، وذهابه كل عام في نفس الموعد إلى المقبرة الخمس نجوم في ٦ أكتوبر، التي يرقد فيها أبوها والتي خطت اسمه عليها بماء الذهب، وجلسه ساعات باكياً أمام قبر أبيه داعياً عليها، رافضاً أموالها... يضايقها كثيراً.

تحس الأميرة هناء بالمقت من قبل شقيقها الذي حملها صغيرة وجرى بها على شاطئ البحر، ولعب معها على العشب الندي، وكان يحاول سرقة العالم ووضعه في قبضة يدها الصغيرة.. هو الرجل الوحيد الذي يستطيع أن يحدث ثقباً في الكرة الأرضية إذا أغضبته، وهو الرجل الوحيد الذي يرفعها صوته.. يخيفها لأنه يعريها من زيفها ومن سلطتها الجوفاء، ويكشف أقنعة الجالسين حولها لالشيء سوى أموالها.

- فلوسك حرام...

هكذا صرخ فالح في وجهها وهو ممسك بذقنه البيضاء الشعر، بينما راح ثوبه الأبيض وكالسونه الأبيض تحته يهتز من ارتعاشات صوته.

- حرام؟.. كيف وزوجي يأخذها من حقه، وتحول له على مصر...

قالت هناء لأخيها.

- المرأة التي تأخذ فلوس زوجها لتشتري أجساد رجال يضاجعونها حتى الفجر، بينما زوجها جالس على كرسي بأربع عجلات، ومصاب بشلل في قدميه بسبب صدمته فيها تكون فلوسها حرام.
قال فالح... ثم أكمل صارخاً:

- هل أستاذنتيه؟.. اذهبي وقولي له: أحتاج لعدة ملايين من فلوسك لأعطيها لرجال يعجبونني ويريدون شراء سيارات "هامر" من عرق أجساد النساء..

صوته في ذاكرتها يغطي على ارتطام الماء بجدران قصرها، لذا لم تنتبه إلى طرقات الباب حتى دخلت داليا وخطبت على كتفها لتنبهها أن المعازيم قد بدأوا في الحضور.

النجوم التي تلمع في الليل فقط ليشاهدها البشر في النهار كانت تقترب منها، راسمة قبلتين على وجنتيها الرائعتين والمتوردتين بوهج السلطة والمال والشهرة..

لم يسمح لأحد أن يمر دون الدعوة الشخصية التي يحملها معه والتي كتب عليها شخصية، حتى ولو كان رئيس وزراء مصر. ووصل عدد مشاهير المجتمع إلى الألف حين بدء الحفل، وتكومت هدايا عيد الميلاد جانباً كجبل من الجليد لا يذوب لأن هناك من يسانده، ودخل المساند دائماً زكي بك عبد الوهاب في بدلته التي يرتديها من إف سان لوران، والكرافت الإيطالي وكعب الحذاء الإيطالي العالي الذي يخفى به قصره، راح يحيى العديد من الوزراء والشخصيات المهمة التي راحت تقف له تحية واحتراماً، نظر حوله، لم يجد أميرته،

وكعادته عرف الطريق إلى داخل القصر، ترك الجميع في حديقة القصر، متجهًا إليها، هو الشخص الوحيد الذي لا إشارات حمراء أمامه للوقوف أمام عتبتها، فصاحب الليالي الحمراء يهرب دائمًا من الإشارات حتى يلحق بعشيقته، ولو كان هناك عقاب فليتأجل حتى فجر الليلة الحمراء.

دلف إلى حضرتها، فأعلنت غضبها منه، مولية ظهرها له، فقد وعدا بقضاء اليوم معها، وعدا بنهار دافئ مليء بالحب لعله ينسيها ما فعله أخوها في يوم عيد ميلادها قبل أن يأتي أحد، لكنه لم يحضر، فما كان منه إلا أن قدم لها الاعتذار، ولم لا وهي أميرته التي يقضى معها أجمل الليالي والسهرات :

- صدقيني يا ملكة عمري هناك أحد السفلة في المجلس قدم طلب إحاطة ضدي، وهو الوحيد الذي يمتلك المستندات والأدلة والبراهين هو ولا سواه، وحاولت التصرف حتى لا يتحول الأمر إلى فضيحة، وهذا ما أخرني عنك.

اقترب منها قبل أن ينتهي من كلامه، متحسبًا ظهرها المرمرى بيده، ثم لف قبالتها وقبل وجنتيها، ويديها، ثم شفتيها، وراح يعبث بأصابعه في وجنتها اليمنى، ثم أخرج من جيبه علبة، ففتحها، وعلى وجهها بعض من غضب هارب.

خاتم تجاوز سعره المليون دولار، أذهلها اختياره، فغرت فاها، وهى التي لم يعد هناك شيئًا مدهشًا بالنسبة لها، ثم وعدا بالبقاء حتى الصباح عندها وعدم الذهاب إلى المجلس غدًا.

وسط هذا الحشد الكبير من المدعوين، يجلس زوجها في الحديقة كغريب ضل من أهله منذ سنوات وفقد الأمل في أن يرحمه القدر ويخلصه من حياته البائسة، أو أن يلقي أحداً من أهله، وحتى ينسى همومه ويدارى عجزه، راح ينسج حكايات من وهم لا يصدقها بأن لزوجته بيزنس خاصاً بها مع زكي عبد الوهاب وغيره، وأنها سيدة مجتمع، حتى يتناسى آلامه ونظرات المحيطين به، ولكم تمنى أن ينبج ابناً يحافظ على أمواله من بعده، لكن منذ خرج مطروداً من قبل إخوته وأعمامه بين خيار أن يبقى ولا يتزوج بهذه المرأة، أو أن يتزوجها ويرحل وتصله حقوقه حيث يذهب، فاختر الذهاب معها، وردد أعمامه وأخوته أنها سحرت له بطريقتها حتى يقع في غرامها ويهيم وراؤها في البرية، لا تعرف قدماء مستقراً ولا يعرف قلبه أمناً ولا يحس بأيام عمره التي تولى.

رغم السلطة والمال والمجد كان الرجل بائساً مهزوماً، يعيش وحيداً، رغم كل الشفاه التي تسبح بحمده وترجو منه الرضا، فليس هناك شعور لدى الرجل أقسى عليه من شعوره بأن زوجته تخونه ويعرف ولا يستطيع أن يفعل شيئاً سوى الصمت، فالرهان على اختيار العمر يصعب خسارته أمام تطلعات العالم وانتظاره لهذا الخسران المتوقع.

خطواتها كأميرة من ليالي ألف ليلة وليلة وهى تهبط سلالم القصر إلى الحديقة، وخلفها فستانها المنساق وراؤها كأنه زوجها في بداية تعارفها عليه، بينما كان زكي عبد الوهاب يجلس بين الحضور، بعد أن دلف مسرعاً عبر الباب الخلفي للقصر، وراحت تتبادل التهاني مع

المدعويين وعطرها الفواح والمعتق بالبخور ودهن العود يملأ أنف كل من تعبر بجواره، لم ينته تصفيقهم، وهم جالسون على مقاعدهم، منذ هبوطها وحتى جلوسها بجوار زوجها الذي راح ينظر لها بعينين مليئتين بالكره والغضب والألم والاكسار، بينما توالى صعود مشاهير المطربين والمطربات على "الستيدج"، ثم رققت دينا في منتصف الليل، فقد أرادت الأميرة هناء أن تعلن مولد سنة جديدة لها بردفي دينا في الثانية عشرة تماماً!!

بدأ البوفيه في الواحدة صباحاً، قدم أفخم أنواع الطعام للحضور كل حسب طلبه، الياباني أو الصيني أو الإيطالي، وأغلبهم قرر أن يمتنع معدته بالكافيار الإيراني الذي لن يحصل عليه في مكان آخر، بينما جلس أحد الذين يأكلون ولا يشكرون يقول لصديقه الجالس بجواره وزوجته:

- الغريب أن كل شيء مستورد إلا صاحبة المهرجان؛ طلعت تايواني...!!

زغده صديقه مشيراً إلى قدومها تجاههما، فحياها قائلاً:

- إنها الأصل، وكل ما عداها تايواني.

كانت داليا تقترب في هذه اللحظة من زكي عبد الوهاب وتعطيه ورقة تخبره فيها أن سمو الأميرة تواجه بعض المتاعب من المدير الجديد لهيلتون رمسيس حيث يطالبها برد الأموال المتأخرة عليها، وهي مبلغ بسيط حوالي ٢٥ مليون جنيه، وإن لم ترد خلال أسبوع فسوف يطلب خروجها من الفندق.

- ولكن سمو الأميرة أخبرتني بالأمر منذ أيام، وتحديث مع وزير السياحة وأنهيت الأمر وتم نقله إلى فندق هيلتون الغردقة دون أن ننقص من درجته الوظيفية.

قال زكي عبد الوهاب مندهشًا، فزادت من انحناءتها عليه لتخبره أنها تعرف وأن عليه أن يقرأ الورقة، فالأمر مجرد حيلة حتى لا يشعر من حوله بأن في الأمر شيئًا، فتح زكي عبد الوهاب الورقة بعد ذهاب داليا وقرأها بين رجله، فقام بسرعة معتذرًا للنجمة السينمائية الشهيرة التي تجلس بجواره، هاتف هناء فأعطت داليا الهاتف المحمول للأميرة هناء التي حاولت أن تخفى ضيقها وهي تجز على أسنانها، مخبرة زكي بأنها بداية لا تغير من امرأة "ليسيان" تسهر كل ليلة في شقة المخرجة الشهيرة، ولكن لا يجب على رجل مثله له مكانته في الحياة السياسية والاجتماعية أن يهين اسمه وسمعته بالجلوس بجوار امرأة بهذا الشكل تحتك به بكتفها وتضع يدها على فخذه، حاول أن يكذب قولها، وأن يؤكد لها أن لا شيء يحدث بينه وبينها وأنه لا يستطيع الجلوس في مكان آخر حتى لا يخرج نفسه أمام الناس.

- بالتأكيد أنا كاذبة بدليل ما تحمله والذي بدأ يتراخى رويدًا رويدًا الآن بعد ما نهضت من جوارها.. قالت هناء ثم أغلقت الهاتف في وجهه، بينما زكي عبد الوهاب يضع الهاتف على أذنه وعينه تنظران في دهشة إلى بنطلونه، متحركًا للجلوس على ترابيزة أخرى كل من عليها رجال.

اختل توازن عدنان وهو يدخل من الباب الكهربائي لمول الهيلتون،
 كاد يسقط على الأرض ناظرًا هناك إلى الفتاة التي تعبر في آخر
 الممر مثيرة الدهشة في أعين العابرين داخل الدور الأرضي للمول،
 والجالسين في الكافيتريا، كانت فتاة خليجية بيضاء ممشوقة القوام،
 تخلت عن زيها الخليجي وارتدت أكثر الملابس عريًا في قاهرة
 المعز، وكل من لامس الهواء العابر لأهدابها الملقاة في مساحة
 الفراغ كمركب عابر في بحر هادئ الأمواج راح يفغر فاه، بينما سمع
 عدنان صوتًا يأتيه من بُعد في لحظة الاختلال :

- يا بوى يا أبو الصعدان

صرخ شادي ضاحكًا وهو يشاهد صديقه على هذه الحالة المؤلمة، ثم
 اقتربا من بعضهما وتعانقا، ثم عبرا خلف الفتاة حيث تلقت للتو
 مكالمته على هاتفها المحمول، "فمشيت الهويينا كما يمشى الوجى
 الوجل"، ثم نزلت على الدرج المؤدي لمحلات الأحذية والحقائب
 النسائية المزدانة بريش النعام، متجهة شمالاً لتلف دورتها خلف
 المحلات وهى تتحدث بشفاه يتراقص عليها الكلام، بينما راح شادي
 يتتبع حركة أردافها رافعًا يداً وخافضًا أخرى، وكأنه مايسترو بدون
 فرقة، بينما عدنان يضحك بلهجة صعيدية، يتبعها كحة وهو يسحب
 علبه سجائره الكليوباترا ويشعلها بشهيق وزفير أنفاسه قبل أن

تشعلها قداحته، ثم يطلق الدخان من فمه مشكلاً دوائر تحول بين عينيه أرداف الفتاة.

رغم المناورات العديدة التي اجتهدا فيها، لم تعرهما اهتماماً، عادا وصعدا السلم الكهربائي وهما ينظران ذات اليمين وذات الشمال بحثاً عن فتاة الليلة، وإذا برجل عجوز يمسك بيد فتاة لا تتجاوز العشرين من عمرها وبينهما حوار هامس، يتمشيان في الدور الأول بالقرب من محل أدوات منزلية، فإذا بشادي يقترب منهما قائلاً بصوت مرتفع:

- إزيك يا أستاذ عزت

- عزت مين يا بني؟

- آسف كنت فاكرك الأستاذ عزت العلايلي.

ثم يتركهما مسرعاً وبين شذقيه ضحكة مكتومة صاعداً إلى الدور الثاني وخلفه عدنان ضارباً يداً بيد وهو يضحك ولا يصدق ما يحدث. توقفا في الدور الثاني موليان ظهرهما لمحل بيع كاسيت وأفلام "دي في دي" صامتين، ثم تحركا خلف هشام الذي وجداه متأنقا كالعادة بالجاكت السماوى والبنطلون البيج، خلف امرأة تتجاوز الثلاثين من عمرها، وفى يده كالعادة "البيزنس كارد" الخاص به، وتليفونه المحمول على أذنه كالعادة أيضاً، يتكلم مع نفسه بصوت مسموع لهذه المرأة عن سعادته لو سمحت له بالتعرف عليها، وأنه يستطيع أن يملي عليها رقمه إذا أرادت وإن خافت أن يلمح أحد كتابتها لرقمه على هاتفها المحمول فما عليها إلا أن تصعد درجات السلم الكهربائي وسوف يكون خلفها ويضع البيزنس كارد في حقيبتها دون أن يلاحظ ذلك أحد.

تركته المرأة دون أن تعيره اهتمامًا، دخلت إلى محل أحذية، سارع عدنان وشادي بوضع يديهما على كتفيه ضاحكين، لتبدأ رحلتهم الليلية.

وهم يعبرون إلى الطابق الأعلى سأل هشام عدنان وشادي إن كانا شاهدا تلك الفتاة التي خلبت عقله وجعلته لا ينام الليل:

- اللي نيمتك في المستشفى أسبوع؟

قال شادي ضاحكًا بينما هشام استغرق في نوبة سرحان طويلة حتى توقفوا في الطابق الثالث تعزيهم الحيرة في حالتهم، ثم صعدوا إلى الدور الخامس عبر السلم الكهربائي.

أحس هشام بضيق، فك أزرار قميصه، نزع الكرافت التي كان يرتديها ثم طلب من عدنان وشادي الجلوس في (MALIM) وهو كافيه وصالة بلياردو في الدور الخامس في الهيلتون أمام السلم الكهربائي وعلى يمينه توجد سينما المول وعلى شماله مطعم مكدونالدز بألعاب الأطفال التي تستحوذ على مساحة كبيرة فيه.

جلس ثلاثتهم إلى الطاولة، راح هشام يطرح العديد من التساؤلات حول ما يفعلونه وما الهدف منه، فإذا كان النساء فلماذا لا نأخذها من قاصرها، وناخذ أي امرأة معنا نضاجعها ونعطيها ما تريد؟

فذكر عدنان هشام بأنهم في كل مرة يتحدثون في هذا الأمر وينتهون إلى لا شيء بعد أن يتهموا ضميرهم بالموت وحياتهم بالعبث المؤدي إلى أوهام تشبه من يتعاطى الخمر هربًا من الواقع، ليس متعة لمزاجه.

قاطعه شادي وبخلده تمر فلسفة السنين:

- نحن لا نسعى إلى المزاج يا صديقي.. نحن نسعى لإخراص صوت الحيوان الزاعق داخلنا.

- كأن اللي بيتكلم رئيس قسم فلسفة وليس شادي... قال عدنان ثم أردف: يا بوي عليك يا شادي لما تطلع اللي تعلمته في الدنيا كله علينا..

ضحك هشام قائلاً: نحن لا نفعل شيئاً سوى إحياء فلسفة الكلبين الإغريق، فقد كانوا يرون أن السعادة الحقيقية في أن تعيش مثل كلاب الطريق، وها نحن نعيد نهج هذه الفلسفات.. ها نحن نفعل الأمر نفسه.

رفع كل منهم كأس عصير البرتقال الموحد الذي طلبوه حين جلوسهم ثم أعطى عدنان لشادي سيجارة من علبته، وأخرج أخرى لنفسه، وبين دخان السجائر لمحوا فتاتين ترتديان جسدتين على ملابس، دفعوا الحساب، هرعوا خلفهما على السلم الآخر، حاولوا طلب التعرف إليهما، لكن الفتاتين لم تعيرهم اهتماماً، وصلا حتى الطابق السفلي ثم إلى خارج المول وعبروا الشارع بين المارة ؛ ونداء سيارات التاكسي والمتسولين وبائعي المناديل، إلى لوبي فندق هيلتون رمسيس، وضعت الفتاتان الحقيقيتين الخاصتين بهما على جهاز التفتيش ودلفتا إلى الفندق... قال عدنان ضاحكاً:

- ادخل يا شادي وراء الحقيقيتين، فبطنك يشبه الحقيقية المنتفخة بالكراكيب التي لا قيمة لها.

ضحكت الفتاتان مثلما ضحك هشام وشادي، ولكن الفتاتين أصرتا على عدم الحديث إليهم رغم الإلحاح، ورغم أن الأمن أوقف الفتاتين يسألهما إن كانا من نزلاء الفندق أم أن هناك سبباً لبعثهما، وهي حالات تحدث كثيراً من قبل أمن السياحة، حين يشتبه في بعض فتيات الليل، أو حين تمر بمفردها، لكن مرورها مع شخص ما من نزلاء الفندق لا يتيح للأمن السؤال... ادعتا أنهما ستسحبان نقوداً من ماكينة "الفيزا"، وقف ضابط الأمن بجوارهما أمام ماكينة الفيزا فادعتا أنها لا تعمل، غيراً طريقهما إلى مكتب بنك مصر داخل الفندق بحجة تغيير عملة، وأمام البنك تركت إحداها قصاصة ورق فيها رقم هاتفها لرجل خليجي كان يلوح لهما بالإشارة من بعيد على الكاونتر الفارغ المجاور للبنك.

أسرع شادي، التقط الورقة، كتب الرقم على هاتفه المحمول، ثم تحدث بلهجة خليجية قحة واتفق معهما على كل شيء، وعليهما أن يظلا لعشر دقائق داخل البنك بحجة تغيير عملة حتى يعود إليهما، ثم هروا شادي طالباً من هشام وعدنان انتظاره حيث ذهب لصديقه علي الذي يدير "كشك" للعصائر وكافة أنواع الشيكولاته في أول الشارع، دخل الكشك، خرج منه بجلاية وصندل وغترة وعقال، وكأنه قادم لتوه من الخليج، ممسكاً في يده بمسبحة، واليد الأخرى يرتدى فيها الساعة "الرولكس" التقليد، وحين عاد ضحك عدنان وهشام بشدة لكنه لبس طور الجد. طلب منهما أن يلحقا به على شقة المعادي، حيث قام شادي بسرقة المفتاح من صديقه المهندس الذي انتدب لبنى سويف في مهمة عمل حكومية، ولن يعود إلا بعد أسبوع.

ادعى شادي أن السيارة مع العائلة وسوف يستقل تاكسي إلى المعادي، وبالفعل صعدتا معه وهو يدير الحوار بالخليجية تمامًا، وحين هبط من التاكسي في شارع النصر بالمعادي؛ منح السائق خمسين جنيهًا، وحرص أن ترى الفتاتان كرمه وأن الفلوس هي آخر ما يفكر فيه، لذا صعدتا معه إلى الشقة وأدارت إحداهن "سي دي" رقص على جهاز الكمبيوتر الخاص بصديقه، وراحتا ترقصان وتتخلصان من ملابسهما، وغرقتا في الجنس حتى الثمالة، وشادي مستمتع بتقليده لشخصية الخليج أكثر من استمتاعه بالجنس، وهو يقول: وي.. وي يابت، إيش تبغي مني تاني، ماني جادر.. كافي هذا.. كافي.

وكان يضحك من الأعماق، بينما ضرب جرس الباب، نهض ليفتح وهو يخبرهما أن الشقة أمان وهي ملكه، وحين يأتي إلى مصر يظل فيها أسبوعين الإجازة ثم يوصدها ويعود، وبعد أن فتح الباب وغمز لصديقيه وسألهما بضيق عن سبب مجيئهما والعكنة عليه في هذا التوقيت، ثم طلب من الفتاتين إشراك صديقه هشام الليبي وعدنان اليمني في السهرة، والحساب عنده.

- أنت تؤمر ولك ما تريد يا شيخنا.. قالت إحداهن ضاحكة ضحكة مزخومة بأنوثة طاغية تذيب الجليد.

مرت السهرة، وفي الصباح أخرج لهما شادي رزمة نقود ورقية قائلاً لهما: هذا ألف يورو لتتمتعا وتعيشا.

وواعدهما على اللقاء مساء اليوم في فندق الشيراتون.

خرجت الفتاتان في سعادة غامرة، فهما في هذه اللحظة يمتلكان ألف يورو..!

ضحك هشام وشادي وعدنان وسارعوا بارتداء ملابسهم وترك الشقة ووضع القفل من الخارج، حتى إذا عادت الفتاتان بعد أن يكتشفا أن الألف يورو ليست إلا عملة هندية لا تساوي أكثر من عشرين جنيهاً مصرياً، لا يجداً إلا قفلاً على باب شقة مكتوب عليها شقة المهندس علي الزيني، والذي لم يلتفتا إليها حين صعودهما، فقد تعتمد شادي عدم إنارة نور السلم بحجة ألا يراهما أحد من الجيران.

السيجار دائم الشجار مع شفتيه، وهو ينظر إلى حذائه الأسود اللامع وبذلته الزرقاء في أنافته الاعتيادية، عابراً المسافة بين مكتبه وكافتيريا مجلس الشعب في قلق، فلم يعتد زكي عبد الوهاب أن يقول له أحد لا.. يحرقه.. ينهي حياته السياسية ذلك الذي يتجرأ ويقولها ذات يوم، سواء كان من الإخوان المسلمين أو كان نائباً مستقلاً، ولا أحد يعرف لماذا وقف النائب الإخواني في وجه زكي عبد الوهاب وقال ما قال، إلا إذا كانت لديه براهينه وحججه ووثائقه.

أرسل زكي عبد الوهاب خصلة شعره السوداء المضخمة بالبياض إلى مكانها فوق رأسه، بعد أن انحدرت على جبينه، ثم نفخ سيجاره في غيظ ودخل إلى مكتبه وأغلق الباب عليه.

جلس زكي عبد الوهاب على كرسيه تاركاً سيجاره في منفضة السجائر شابكاً يديه، بينما رجلاه تتحركان أسفل المكتب في قلق، فلعلها المرة الأولى التي يقف فيها نائب ويقول "لا" في وجه زكي عبد الوهاب، ويدعي أن لديه وثائق تدينه وتثبت تحايله على القانون واغتصاب حقوق الفقراء في هذا الوطن.

لم يكن يضايق زكي عبد الوهاب قول لا، لكنه يدرك البعد الآخر الذي قد تأخذ ه المسألة، وهو اللعب بالدين ؛ ذلك أن زكي عبد الوهاب يعرف مدى تأثير الإخوان المسلمين في الشارع، ويدرك أن الناس

تمشي وراء دائم القول، قال الله وقال الرسول، وعبد الوهاب يسعى حثيثاً إلى التقرب إلى الشارع المصري مثل الثعبان في نعومته ليلدغ لدغته الأخيرة.

- "لن أدع أحداً يحول دون تحقيق طموحاتي" ..

قالها عبد الوهاب في صمت وهو يتأمل الجدار الخشبي بني اللون، متذكراً عذابات البدايات وعمله في تجارة الخردة في طنطا، ثم عمله أثناء دراسته الهندسة بجامعة القاهرة عازفاً على البيانو في فندق الميريديان لإثبات وجوده واعتماده على نفسه بعيداً عن أبيه، ثم عودته لأبيه الذي لم يكن يمتلك المال الكافي للاشتراك في ناد خاص أو شراء السيارة الـ BMW التي يحلم بها، لكنه استطاع أن يحصل على قرض بضمان الورشة الخاصة بهم في طنطا، ويؤسس مصنعاً لإعادة تصنيع الحديد الخردة وبقايا حديد السيارات في شمال القاهرة، فقد أدرك أن انتقاله إلى القاهرة يحقق له طموحاته، لأنها كبيرة وبتوه فيها الناس قبل أن يصلوا إلى ما يريدون.

استطاع بذكائه إدارة هذا المصنع بنجاح وأسماه "مجموعة مصانع عبد الوهاب للحديد" رغم أنه لم يكن سوى مصنع واحد، ومن أرباح هذا المصنع استطاع تأسيس مصنع آخر لصناعة الحديد الصلب، ورغم تدفق الأموال عليه إلا أن هناك شيئاً ما كان ينقصه، فقد استشرع زكي عبد الوهاب أنه يبتعد عن طموحه، لكنه تأكد فيما بعد أنه كان يرسخ الخطوات الأولى لطموحه، فالمال مفتاح لكل الأبواب الموصدة، وبالمال تستطيع أن تصنع عالماً كاملاً، بل تستطيع أن تشتري "الإنسان" أيّاً كان توصيفه الاجتماعي.

وأدرك زكي منذ زمن طويل أن الشعب المصري لم يكن يومًا ما صانع قرار نفسه، بل أنه اعتاد سياسة "الجبر والحتمية"، فهو شعب بلاوعي، ووعيه سياسيًا واجتماعيًا بل وفنيًا يشكله له منتفعو وتجار هذا الوطن.. عشرات الشخصيات من نجوم السينما الآن لا علاقة لهم بالتمثيل من قريب أو من بعيد، لكن لا يوجد نجم رفضه الشعب المصري، لا يوجد مخرج قال له الشعب المصري لا، فالشعب الآن في مرحلة فقدان الوعي، لذا فإن من لديه موهبة ومن ليست لديه؛ يستطيع أن يحقق إعجاب وإبهار ملايين المصريين، فبمجرد أن ترى الجماهير واحدًا من هؤلاء في الشارع حتى تهول لالتقاط الصور معه، وتسارع الفتيات بمنحه أرقامهن، متمنيات إقامة علاقة ما معه، رغم فشله الذريع في امتلاك أدنى ثقافة تخص صناعته.. ولكن لأن مشكلة الضمير الجمعي المصري وضعوه في بؤرة الضوء، فقد صدّق الشعب على موهبته؛ فدخل التاريخ من أبوابه الخلفية.. أدخله إياه ذلك الحمق الجمعي.

لذا راح زكي عبد الوهاب يسعى إلى مجلس الشعب، واستطاع أن ينجح من خلال أصوات العمال الذين يعملون في مصنعه، ومن خلال الأموال التي أغدقها على بسطاء الناس، فكل من يعطى صوته له يحصل على مائة جنيه، وكان لابد من عرضه على مسرح الوطن الهزلي في مجلس الشعب، فأحضر مصورا فرنسيا التقط له مجموعة كبيرة من الصور وهو يراوغ في قاعة المجلس، راح يوزعها على الصفحات الاقتصادية في الصحف، ومع كل مظهر وف به صور

مظروف آخر، لم يكن يسأل المسؤول عن هذه الصفحات عن قيمته، فهو يعرف أن ما فيه يحتاج إلى وقت طويل للعد...!!

بدأت النجومية تقترب من زكي عبد الوهاب، لكنه كان لا يزال يشعر أنه لم يصل إلى العتبة الأولى لتحقيق أحلامه، حتى عاد ابن الرئيس من سفر طويل في أوروبا، وعرف أن هناك من يُعدّونه ليكون الرجل الأول في مصر، وكانت الصفقة ٥ ملايين جنيه منحها للرجل الكبير الذي قاده من يده، عرّفه إلى نجل الرئيس، مخبراً إياه بأن زكي عبد الوهاب واحد من شرفاء هذا الوطن وأنه كافح وناضل ليعلي من تاج مصر على مفرق الشرق، وقرر أن ينضم إلينا حين عرف أننا البناؤون الجدد لأجل هذا البلد؛ وأنه مالك الأرض التي سننشئ عليها أولى هيئاتنا لخدمة المجتمع وبناء حياة اجتماعية جديدة في مصر، وبدأت العلاقة بينهما تتوطد، ذكر في حديثه لنجل الرئيس بأنه الأقرب إلى الناس وأنه يستطيع أن يسكن قلوبهم وأحلامهم ويعرف ما يفكرون فيه.

بعد تكوين اللجنة الوطنية داخل الحزب أصبح زكي عبد الوهاب أهم أعضائها، ومنح ثقة مطلقة من ابن الرئيس الذي كان يعتقد أن عبد الوهاب سيقربه من الناس ويقرأ له ملامحهم ورؤاهم، بينما كان عبد الوهاب لا يسعى سوى لمصلحته الشخصية وزيادة أرصده في البنوك، كلما صعد ابن الرئيس صعد معه زكي عبد الوهاب حتى صار يده اليمنى في كل شيء، وما إن بدأت أمريكا ترى أن الفساد في دول العالم الثالث يعيش داخل أروقة القطاع العام، حتى بدأ البلد في

التخلص من القطاع العام، وحسم زكي عبد الوهاب تردد المسؤولين بأنه يجب بيع القطاع العام، واشترى شركات الحديد الحكومية ليكون إمبراطورية ضخمة، بل ويتأسس أكثر من لجنة داخل الحزب، وليس شريطة أن يفهم أهداف هذه اللجنة.

وأقنع عبد الوهاب ابن الرئيس بأن اكتساب الشعب المصري إلى صفه يتم من خلاله، ولما سأله ابن الرئيس : كيف يتم من خلاله، وقد أغلقت أبواب الرزق في وجه الغلبة بعد أن تم تخصيص شركات الحديد لك؟!!

وقتها علت الحيرة زكي عبد الوهاب وتلعثم ولم يعرف كيف يرد، ولكنه قال بعد دقائق بأن البيت من الداخل يحتاج إلى ترتيب، وذلك بتغيير القوائم الخاصة بالمحليات، وأن نضع الأشخاص الموثوق بهم، وكذلك يجب تغيير لائحة انتخابات الحزب فتكون كل سنتين لأمناء العموم بدلاً من كل خمس سنوات.

لم يكن عبد الوهاب يسعى إلى وصول نجل الرئيس إلى الحكم، بل الأدهى من ذلك أن عبد الوهاب لم يكن يحب نجل الرئيس، وكان يرى أنه الأحق بحكم مصر، لذا كان يتحدث لابن الرئيس كلما التقاه في أشياء، ثم يسارع إلى فعل أمور أخرى من شأنها أن تكره الناس ابن الرئيس بسببها، بل والرئيس نفسه، وكان يخطط لأن يتحول الشعب المصري كله ضد الحكم ولا يجد ملاذًا في النهاية سواه.

هكذا كان زكي عبد الوهاب يخطط لانقلاباته سواء مع النساء أو مع الساسة؛ لا فرق من وجهة نظره، لذا لم يكن أحد في مجلس الشعب

يجرؤ على قول لا في وجهه، وإذا فعلها واحد من الحيتان الكبار فإن عبد الوهاب ينتحي به جانباً، مهدداً إياه مرة عبر علاقته بنجل الرئيس، ومرغباً له مرة أخرى عبر ما يمكن أن يقدمه له من أمواله واتحاد المنفعة.

لم يكن زكي عبد الوهاب يؤمن بالاختصاصات داخل البرلمان، فما يختاره هو الذي يتم، لا توجد لجان أكبر من عبد الوهاب. "رئيس المجلس نفسه ليس أكبر من عبد الوهاب" ..

هكذا صرخ زكي عبد الوهاب، ثم مال بظهره إلى الوراء ومدد قدميه فوق المكتب، ثم نهض وذهب إلى قاعة المجلس حيث انتهت الاستراحة، وبدأ رئيس المجلس بأخذ الأصوات بالموافقة على التحقيق مع زكي عبد الوهاب، بينما أرسل زكي عبد الوهاب رسالة SMS من هاتفه المحمول إلى ثلاثة أرباع المجلس الذين لم يرفعوا أيديهم على الموافقة، وكانت الرسالة الثانية دعوة لحفل عشاء يقيمه عبد الوهاب خصيصاً لهم في فندق هيلتون رمسيس.

هرول الجميع إلى عشاء الديوك الرومي، وبعد ترحاب بالنواب "الوطنيين" وتناول العشاء معهم، كان الاقتراح الخاص من زكي عبد الوهاب وهو طلب زيادة الأسعار، وذلك لأن المواطن محدود الدخل سوف يستفيد من هذه الأسعار مثل الدولار وخلافه، خاصة بنزين ٩٠ و٩٢ و٩٥، وطبيعي أن المواطن محدود الدخل لا علاقة له بالدولار، ومن قاعة الحفلات الأنيقة في فندق هيلتون رمسيس، والعشاء الفاخر الذي لن يراه محدود الدخل إلا إذا دخل الجنة، وافق

النواب واقتنعوا، لكن زكي عبد الوهاب طلب من النواب ألا يتسرعوا في اتخاذ القرار لأنه يؤمن بالديمقراطية، وأنه سوف يتركهم ساعة يفكرون على راحتهم مع المشروعات والحلو.

صعد عبد الوهاب إلى الطوابق الخاصة بالأميرة هناء، والتي كانت تنتظره كعادتها، وبعد حرارة اللقاء، وأثناء استلقاء زكي عبد الوهاب على جسدها المرمري الناعم لمحت في عينيه غيمة حزن، وأصرت أن تعرف السبب، حكى لها عن العثرات التي يتعرض لها، والتي قد تبعده عن سادة المصير، قالت له: لا تضايق نفسك أنت تحميني في الداخل، وبقاؤك يعني، كما أتمنى أن أراك أهم رجل في العالم.

ثم تحركت من تحته، أمسكت بهاتفها، تحدثت فيه لدقائق خمس، وكان على الخط الآخر شخصية مهمة، حاول زكي عبد الوهاب أن يعرفها، لم يستطع، لكنه عرف أنها تجرى مكالمة دولية، ثم أخبرته أن يذهب إلى قصر الرئاسة في الصباح حيث ستكون كل عثراته قد انتهت.

ساعات ثلاث وزكى عبد الوهاب لم يهبط من أعلى، والنواب ينتظرون، بينما كان النائب الإخواني الذي طلب محاكمة عبد الوهاب في المجلس صباح اليوم في مبنى أمن الدولة يتم التحقيق معه لعدة تهم منها التحريض على المظاهرات وغسيل أموال، وجد منها ثلاثة ملايين في بيته، لا يعرف الرجل من أين جاءت، وتمويل حركات في الخارج ضد النظام.

صباح اليوم التالي؛ وكان يوم خميس؛ ارتفع سعر الدولار، ومن ثم ارتفعت معه كل الأسعار، وزاد غضب الناس في الشارع أكثر، وبدلاً من أن يقابل عبد الوهاب في قصر الرئاسة بترحاب وتوصية، قوبل بكلمات نابية، رغم محاولاته نفى أنه السبب وراء ارتفاع الأسعار. خرج مخذولاً، وما هي إلا أيام حتى عادت الأمور إلى مجاريها عبر توصية أخرى، وارتفع سعر الحديد أكثر وأكثر ليكسب عبد الوهاب خلال أسابيع ملايين الملايين، ثم يقدم للأميرة هناء "يخت" هدية يطل على بحيرة في لوزان بسويسرا لتقول له ساخرة من ذلك الوطن المهدر دمه يميناً مرة ويساراً مرات.. ساخرة منه نظاماً وحكومة وشعباً:

- ما مصر فيها فلوس كتير أهى، والشعب المصري غنى؛ ويدفع فلوس في "يخوت".. أمال بيدعي الفقر ليه؟!!

منذ كان هشام يدرس في الجامعة لم يواصل ليله بنهاره، فقد ولى زمن الامتحانات الكئيب، لكنه يخشى أن يكون المصير الذي سيواجهه بعد سويغات أسوأ من مصير طالب ترك ورقة الأسئلة بيضاء بغير سوء، ومنذ قرر هشام أن يأتي بأمه لتبقى معه في شقته المؤجرة بمائتي جنيه شهرياً في أحد الشوارع الخلفية العتيقة في حي شبرا، بعد أن تزوجت أختاه، واحدة في بلدهم والأخرى في إمبابه، وسافر شقيقه إلى الخليج حيث يعيش هناك مع زوجته وأولاده؛ رغم أنه الأخ الأصغر لهشام، وأمه دائمة القلق عليه كلما لمحت في عينيه احمرار وعدم مقدرة على النوم، وفي هذه الليلة تقلب طويلاً في فراشه، ولم تستطع أمه مواصلة النوم لسماعها ذلك الهاجس الذي يجول بخاطر ابنها على سريرها، الذي لم تستقر حركته طوال هذه الليلة، ويرقد عليه أنين صامت.

- ماذا يريد مني رئيس التحرير؟

هكذا طرح هشام على نفسه السؤال وهو يرتدي جوربه الذي أصيب بقطع أسفل قدمه، ويضع الحذاء في قدميه واقفاً أمام المرأة، مندهشاً للاحمرار الشديد في عينيه، بينما ظهرت أمه خلفه تلقى تحية الصباح، فيسارع بتقبيل وجنتيها ويديها طالباً منها الدعاء له وبشدة. وبعد محاولات طويلة منها لتناوله وجبة الإفطار أو جزءاً منها، ما

كان منه إلا أن أبى، وقرر الخروج من هذه الشقة المعتمة التي تزيده حزناً، بسريرها الوحيد الذي يتمايل ذات اليمين وذات الشمال ككلب أهل الكهف، وجدرانها المتهالكة، وشبابيكها التي يرى من خلالها أرجل المارة والصبية، حيث تقع الشقة في الدور الأرضي وحجرتها الآخرين اللذين بلا أثاث سوى دولاب يقف جزء من بابه في صبر ليقع مثل الباب الآخر الملقى على الأرض..

على الرغم من هذا إلا أن والدته هشام قنوعة وصابرة، تنام على حصيرة في الصالة، وتستريح لشقة بحمام دون مطبخ، فتضع أوانيها في ركن في إحدى الغرف، وتعيش في القاهرة مثل ريفية في قريتها، فما في البيت يكفيها حتى لو كان الكفاف.

تأمل هشام وجوه الجدران وجيرها المتساقط وسقفها المتهالك، وخرج عابراً شوارع مجهل أسمائها، رغم سنواته المديدة في هذا الحي، ولم يفق هشام إلا حين أخبره سائق التاكسي أنه في ميدان عبد المنعم رياض.

نظر هشام خلفه ليجد فندق هيلتون رمسيس رابضاً مكانه في قوة وجبروت، واندesh لأنها تكاد تكون المرة الأولى التي يرى فيها هيلتون رمسيس في السابعة صباحاً، فلا توجد هنا سوى أصوات السيارات المزعجة بتزاحمها وتلوثها، لكن ثمة فتاة تهبط من الفندق إلى المول، تقول ملابسها كيف قضت ليلتها الفاتنة، عبر هشام خلفها إلى المول حتى الدور الأخير حيث دخلت إلى مطعم ماكدونالدز وتناولت طبق سلطة مع ساندوتش كفتة كومبو، جلس هشام في مقعد

مواجه لها، طلب ساندوتش برجر، حاول التعرف إليها، حين لم يجد فائدة هبط خارج المول ليواجه مصيره.

عبر هشام الشارع بعد توقف لحظات أمام مطلع كوبري أكتوبر حيث السيارات غير العابئة بالبشر المارين في شوارع العاصمة، ثم مر بمحاذاة موقف عبد المنعم رياض، ولما جاء المتحف المصري على يساره عبر إلى الناحية الأخرى، وتاه في شوارع حي معروف، حتى وجد كشري أبو طارق على يمينه ظهرت على وجهه ابتسامة حيث تذكر أغنية شعبان عبد الرحيم عن أبو طارق (كشري أبو طارق.. إبيه.. إبيه)، وكان العمال قد بدأوا يعدون الخلطة النادرة التي يتمتع بها كشري أبو طارق، ووجد هشام ورش السيارات لم تفتح أبوابها بعد، ثم مرّ على حاتي أبو خالد ليعبر شارع شامبليون، ثم ينحني يميناً ليدخل إلى شارع عبد الحميد سعيد، ويتأمل الأفلام الأجنبية التي تعرضها سينما "أوديون"، ليجد نفسه في شارع طلعت حرب متأملاً بدهشة عمارات وسط البلد القديمة الرابضة كأسود رغم تهالكها، ورغم ألوانها التي حافظت على جمالها العابت بكل شيء من صحة الإنسان وحتى صحة العمارات..

ورغم أن العديد من الفتيات كن يهبطن من عدة عمارات في شارع طلعت حرب، فإن هشام لم يعرهن اهتماماً ولا عبر وراءهن، ذلك أنه يعرف أنهن اللواتي يعملن في البارات وعلب الليل وقد غيرن ملابسهن وبدأن في الذهاب، ففي شوارع وسط البلد أجّر العديد من أصحاب العمارات سطوح عماراتهم إلى علب ليل وفنادق رخيصة،

تبدأ أسعار غرفها من خمسة وعشرين جنيهاً، ولا تتجاوز المائة جنيهاً، ورغم ذلك يسكنها أجانب؛ جاءوا مفتونين بمنطقة وسط البلد في القاهرة.

وراح هشام يتأمل لوحات الأطباء ومحلات الأزياء التي حولت هذه البنى المتحفية إلى مسوخ فقدت تاريخها، ثم عبر إلى شارع قصر النيل عبر ممر "بهلر" وعيناه ثابتتان التأمل لفخامة عمارات وسط البلد، سائلاً نفسه عن المهندس العبقرى الذي نفذ هذه المباني وكيف تخيلها بعد كل هذه السنوات، وما الذي كان يتوقع أن يقوله الناس مستقبلاً عنها؟!...

ثم أخذه من تساؤله بعد مصمصة شفتيه كلب يشم بطانية ملتحف بها رجل على رصيف الممر، لم يدهشه وجود هؤلاء الضائعين والمشردين، ولكن ما أدهشه وجود كلب في وسط البلد، بهذه القذارة والهباب الذي يملأ شعره الأبيض، ومن أين خرج وأين سكن؟

لكنه حول نظره إلى جيبة قصيرة تمر في شارع قصر النيل، وراح يتأمل هؤلاء الفتيات القادمات من بيوتهن والنعاس يمارس غلظته على وجوههن رافضاً الرحيل، وبين اللواتي يلتقيهن في مساعته، ويتساءل كيف تعمل واحدة منهن ثلاثين يوماً تصحوها مبكراً وتعود منها في المساء، عبر زحام وتحرشات ومعارك تقودها الفتاة المصرية في الشارع، وكأنها ذاهبة لتحارب إسرائيل، مقابل أربعمئة جنيهاً، بينما تمنح فتاة أخرى جسدها لرجل لنصف ساعة مقابل أربعمئة جنيهاً أيضاً؛ أو يزيد، وأجاب هشام نفسه في سخرية:

- آه.. لقد تذكرت شيئاً مهماً كدت أنساه، إنه الشرف الذي لطالما عشن له وبه، فمساعات الفنادق تسرق مني قيمًا تمتع بها هذا البلد.. عذراً ففنادق القاهرة بلد.. وشوارعها بلد آخر تماماً.

ودّع شوارع وسط البلد وهو يتأمل عناوين الصحف المعروضة على الأرصفة، وجد نفسه في شارع قصر العيني حيث قاربت الساعة العاشرة، وهو الموعد الذي حدده له رئيس التحرير.. عبر إلى جريدة "الصوت الحر" محيياً الأمن وعامل البوفيه، وسكرتيرة رئيس التحرير التي أخبرته أن الرئيس على وصول بعد سؤاله عنه، ثم أجلسته يحتسي القهوة معها.. وهكذا هشام يبحث عن المرأة في أي مكان حتى ولو كانت تصلي في مسجد فلا مانع من التعارف إليها، ابتسم ابتسامة ممزوجة بالذكى حيث تذكر قول عدنان الصعيدي له : "انت يا هشام زى القبر ما بيردش ميت".

ثم نهضت بقامتها القصيرة، فنهض هشام معها، ثم قال لها مبدئياً الاتدهاش : لو أنى قلقك عليك وأردت أن أطمئن بعد مواعيد عملك ماذا أفعل؟

ضحكت وراق لها أسلوبه فمنحته رقم هاتفها، فقال لها:

- لابد أن اعمل لك نعمة مختلفة.

- مش قوي كده... قالتها في دلال، فأخبرها :

- إذا لم أعمل نعمة خاصة لسكرتيرة رئيس تحريرنا أعملها لمين؟..

لرئيس التحرير مثلاً؟.. وضحكا وعيونهما متقابلتة، تكشف أن هشام يدخل مغامرة جديدة.

بعد دقائق دخل رئيس التحرير محيياً، وخلفه دخلت سكرتيرته، وبعدها بدقيقتين دخل عامل البوفيه بالقهوة الصباحية إليه، وبعد حوالي ربع ساعة طلب من هشام الذي ملّ الانتظار أن يدخل عليه.

بعد أن اطمأن على أحوال عمله وإعجابه بأسلوبه وجهده الدعوب وقف رئيس التحرير، وطلب من هشام أن يبقى جالساً ثم راح يحدثه عن أن الحياة خبطة صحفية، وأن تاريخ الصحفي عبارة عن أرشيف به خبطات تؤكد إن كان يستحق الصعود الحقيقي أم لا، وأن الفرص في ضوء عصر الانترنت وتدفق المعلومات باتت نادرة، قبل ذلك كان الصحفي يحمل قلمه وكاميرته عابراً على بلاد قد لا يصل إليها أحدنا، معبراً عنها بقلمه، وعبر صور وتراكيب لغوية لوصف المكان الذي كان فيه، والآن تستطيع CNN والجزيرة والعربية والحررة "أن تنقل إليك العالم وأنت جالس في البانيو تستحم، وتدعك رأسك بالشامبو". علت شفاه هشام ابتسامة وتمنى أن يخبر رئيسه بأنه مازال يستحم في طشت أحضرته أمه معها من قريته.

ثم راح رئيس التحرير بعد توقفه لدقائق ناظراً من شباك مكتبه إلى شوارع جاردن سيتي ومبانيها العتيقة يخبر هشام أنه اختاره لـ "خبطة" صحفية كبيرة، ولما سأله هشام عن سر اختياره هو دون زملائه، أكد رئيس التحرير وهو ينظر في عينيّ هشام حبه له وإحساسه بالأخوة تجاهه، كما أن هذه الخبطة تحتاج إلى صحفي جريء يفعل مثلما فعلت أنت في قرية البرجيلة، وبالإضافة إلى هذا فأنت تجيد الإنجليزية والخبطة تسكن هناك في لندن..

جف ريق هشام وتبلل جبينه بنقاط من العرق، وسأل رئيس التحرير عن هذه الخطبة.

- ستجرى حوارًا على عدة حلقات مع عبد الكريم ناصيف

وقف هشام رغم عدم مساعدة قدميه له على الوقوف، زاد عرقه، تجمعت الكلمات في فمه فقال جملاً غير مترابطة وغير مفهومة ثم علا صوته :

- عبد الكريم ناصيف الذي قتل ما يزيد على الألف وخمسمائة مصري، عبد الكريم ناصيف ملوث اليدين بدماء أهلي، بدماء المصريين,, أذهب أنا لأقابله، أكيد حضرتك بتهزر!!

- كل الناس تعرف هذا الكلام، لكننا سنقدم حقائق مختلفة، وبالمستندات كمان.

قال رئيس التحرير، ثم أردف :

- المستندات والأدلة التي لدينا تثبت براءته، وتكشف بأن الرجل لا دخل له بالعبارة، رغم أنها ملكه فقد كان مسافرًا وقتها إلى نيويورك، وسوف يعطيك نسخة من الوثائق، بما فيها تذاكر الطيران التي تثبت تاريخ الذهاب والعودة، وكذلك تاريخ إقامته ومغادرته للفندق في نيويورك من خلال فواتير حساب الفندق هناك.

- ولماذا لا تجري الحوار بنفسك، فهذا أكثر مصداقية!!

قال هشام ساخرًا.

فكشف رئيس التحرير عن أن إجراءات لمثل هذا الحوار سيحسبه على طرف دون الآخر، وأن رئيس التحرير يجب ألا يكون منحازًا لطرف

دون سواه لأجل توزيع الجريدة ومصادقتها.. وأنت تعرف أن
"الصوت الحر" اكتسبت مصداقية الناس في فترة وجيزة، والناس
يؤمنون بكل ما نكتب ونقول.. كما أنك تعرف يا هشام أنني رفضت
رشوة بالملايين من قبل، وكنت أنت المحرر الذي قام بالتحقيق في
تلك القضية إياها، وفي النهاية سأقول لك إن عبد الكريم ناصيف يعد
لك مفاجأة عمرك في لندن!!

"الحداد". هو الإحساس الوحيد الذي يتركه وجه هشام في كل من ينظر إليه، حيث يرى في عينيه وكان شيئاً ما رحل عنه، أو موت محقق اقترب منه، أو أنه يشعر بفقدان فرصة وحيدة يمتلكها. بين حيرة ممزوجة بالأسى وتصور لحياته وأمه البائسة، راح هشام يفكر بين التحليق في رحاب العالم المترف، أو الانجذاب إلى العالم الكادح راح يخبر نفسه، تذكر رئيس التحرير الذي صدم فيه، راح يوجد له مبررات عن ارتدائه أكثر من قناع وتخليه عن قيم ومبادئ تربي عليها.

لا شيء سوى البكاء يسكن وجه هشام الآن، ولا شيء سوى عيون زائغة تمشي على قدميها في طرقات لا تعرف أسمائها، وبمرور الوقت شعر أن رصيده من الحزن قد قارب نهايته، ولم تتوفقاً قدماه العابرتان على كل الأماكن التي داستهما قبل ذلك، سوى أمام مول هيلتون رمسيس، حيث وجد وجهاً يحدق فيه، لم يلتق ملامحه من قبل، اقترب منه الرجل قائلاً:

- عندي لك حبة حلوة، تنسيك كل هموم الدنيا ؟

رغم أن هشام صال وجال في ليل القاهرة وله مع نساء القاهرة المعز غزوات، إلا أنه لم يلتق في حياته قوادة، لذا كان يظن أن القواد لا يخرج عن روايات نجيب محفوظ: رجل بأسنان ذهبية يمتط فمه حتى

نهائيه حين يضحك، ويرتدى جلابية يضع يده في فتحتها، بينما تمسك يده الأخرى شاربه الطويل.. تأمله طويلاً، ثم تذكر أن اللحظات الجنسية هي الكفيلة أن تنسيه ما هو فيه، فإذا كان يبحث عن الجنس ويفعله ليحقق بهجته، فلماذا لا يلجأ إليه ليتخلص من حزنه الذي يبدو من ملامحه أنه سوف يدوم طويلاً.

اتبع هشام هذا الرجل فوجده على عكس الوصف الذي كان يظنه إذ يرتدى الرجل بنطالاً وقميصاً ونظارة بيضاء، يشعل سيجارته الـ "مارلبورو"، لا يختلف كثيراً في تركيبته الجسمية ولا مظهره عن أي إنسان، ولا تنفرد ملامحه بشكل معين، أحس هشام أنه يشبهه ويشبه المصريين الذين يلتقيهم في الشوارع، بل ويشبه أباه وعمه، سيان بينه وبين كل البشر، وليس مثل روايات نجيب محفوظ وتوصيف السينما المصرية لشخصية القواد.

وأمام عمارة دوحة ماسبيرو في مواجهة كوبري أكتوبر وموقف عبد المنعم رياض أشار الرجل إلى سيارة تاكسي.

- دار السلام يا أسطى

بكلمة واحدة لم ينبث هشام، ظل ساكناً يتأمل البشر والشوارع، بينما راح الرجل يحكي له عن مميزات الحقة التي لديه، وما تتمتع به من جمال، وأنها لن تأخذ منه أكثر من مائتي جنيه؛ سيأخذ هو منها مائة جنيه، بينما هشام سارح في لقائه مع رئيس التحرير وفي صورة أمه وبقائها في شقة تسكنها جدران عارية.

- بعد ما تمر على سنترال دار السلام ثم أبو أشرف أدخل تاني حارة يمين... هكذا قال القواد.

حينها انتبه هشام وسأله عن المكان، وأنه لا يذهب إلى غانيات في شققهن، لكن ما أدهش هشام وأصابه بالرعب قول الرجل إن البيت بيته هو.

حاسب هشام التاكسي، صعد مع الرجل إلى الطابق الثاني في بيت يشبه مدخله مدخل البيت الذي يسكنه مع أمه، أغلقت الشقة التي على السلم حين سمعت وقع أقدام، بينما كان باب الشقة المقابل مفتوحًا ومكتوبًا عليه: علي عبد السلام - ضابط شرطة..

توقف هشام، فأخبره القواد بالآخاف فهذه لافتة وهمية، حيث كان يسكن هذه الشقة ضابط منذ عشر سنوات، ولما اشتريتها تركت اللافتة عليها حتى يهابني القادمون والأغراب.

على يمين الباب ترقد سبعينية، اعتدلت فور دخولهما، لمح هشام امرأة أخرى في منتصف الأربعينيات مستلقية على الأرض اعتدلت أيضًا فور دخولهما.

- أمي... أشار القواد إلى السبعينية، ودلف إلى الحجرة المجاورة لباب الشقة، وكانت المرأة الأخرى هي زوجته.

في الحجرة كانت تجلس امرأة منتقبة على سرير، أوصد الرجل الباب، جلس الثلاثة، سرح هشام في الأثاث الرخيص وصورة هيفاء وهبي شبه العارية على الحائط أعلى السرير... قال الرجل ضاحكًا تجاه الصورة :

- عشان تعرف إننا بندلعك !!

ابتسم هشام سائلاً نفسه عما جعل رجل يمارس هذه المهنة؛ وفي عقر داره، وهل تعرف أمه وزوجته ما يفعله؟.

- بالتأكيد يعرفان كل شيء، وإلا ما معنى هذه الصور العارية وإغلاقه باب الحجرة عليهما وتركه وهذه الفتاة بعد قليل بمفردهما..
أتحفظه القرآن مثلاً؟!!

يخشى هشام الفقر ويتوقع أن يوصله لأسوأ الأشياء، لكن أن يحول البشر إلى قوادين، فهذا ما لم يتوقعه هشام الذي سأل نفسه :
- هل يمارس الرجل القوادة على امرأته أيضاً؟

ثم صمت حين انتصب خارجاً وهو يقول لهذه الفتاة :

- حاسبية إنتي، أنا لسه ما حسبتوش.

طلب منه هشام البقاء لأنه قلق، فقد مارس الجنس كثيراً قبل ذلك لكنه لم يمارسه في وجود أسرة كاملة. جلس الرجل وطلب منه ألا يخاف وكأنه في بيتهم، ثم طلب منها أن تتجرد من ملابسها، دعر هشام من سوادها، لكن الرجل برر تلك الظلمة بقوله :

- دي هتطلع من جسمك الرطوبة، وبعدين السمراوات مية مية في الجنس، وأفضل من البيضاوات !

احتار هشام، ظل محملاً فيها والرجل يوصد الباب وصوت المفتاح يدوي في أذنيه كأنه الرعد، قامت عن السرير نزعت العباءة السوداء التي ترتديها، فظهرت كالليل البهيم، ثم لفت بجسدها الفارع أمامه

حيث عودها النحيل وشفتيها المكتنزتين وعينيها الجريئتين، ثم قالت له :

- أنت لسه هاتبرق؟

نزعت عنه قميصه وأرقدته على السرير وضاجعته بشراسة، مارست معه كل تصرفات وسلوكيات الجنس، ما خطر على باله، وما لم يخطر، وهشام يبدو مثل الذي في حفلة زار، تتداخل الأصوات في أذنيه؛ بين آهاتها الممتزجة بالشبق وجسدها الراعد، وبين أمه ورئيس التحرير والفقر والقواد، والضرب الذي تعرض له في قريتهم..

نهض هشام بعد أن استلقت بجواره على صوت هاتفه، وما إن سمع كلمة "ألو" حتى انسلت الدموع من عينيه دون أن يدري سبباً، فقد كانت داليا هي التي تتحدث دون أن يظهر رقم هاتفها كالعادة، فطلب منها أن يراها، بعد أن تساءلت عن سر صوته الحزين، فأصر على رؤياها لأنه مهموم ولن ينسيه كمّ هذه الهموم القابعة على صدره سوى رؤيتها... وبعد أن أغلق الهاتف ارتدى بنطاله وقميصه وألقى بالنقود في وجهها وفر هارباً، استوقف "تاكسي" مهرولاً إلى كازينو المقطم حيث سيلتقي داليا.. سفينة نجاته وسط لجة الأمواج القاهرية العاتية؛ وبعيداً عن هيلتون رمسيس ووسط القاهرة.

- نسيت الأندر بتاعك

صرخت الفتاة من الشباك... نظر وراءه وهو يمشي في الشارع مسرعاً، فوجد الشرفات مليئة بالنساء والرجال.

- إنتوا كلکم عارفین الحکایة ولا إیہ ؟... قال هشام مندهشًا، ثم أكمل
مسرعًا وصعد إلى تاکسي ذاهبًا إلى کازینو المقطم مثلما طلبت دالیا
أن تلتيه بعيدًا عن هيلتون رمسيس ووسط القاهرة.

بعد دقائق خمس من جلوسه شم رائحتها قبل أن يراها، حيث جلست
أمامه بعد أن سلمت عليه، راح يتأمل ما ترتديه من ساعة ألماس
وينظرون وبلوزة وطقم ذهب أبيض، وراح يحسب في ذهنه ثمن ما
ترتيه متوقعًا ألا يقل عن خمسمائة ألف جنيه، بينما راح يتأمل نفسه
إذ يرتدى بنطالاً بمائة جنيه وحذاء بالثمن نفسه، وقميص بثمانين
جنيهاً، وساعة اشتراها من بائع عابر التقاه في شارع قصر النيل،
ولما سألته عن سر همومه، رد عليها بحاجته إلى اكتشاف تلك
القارة المجهولة التي تجلس أمامه، والتي لم يكتشفها العالم بعد،
وظل حزيبًا حتى الآن.

ضحكة واحدة خرجت من بين شفتيها المدهشتين أنست هشام كل
معاناته، عرف أنها تعمل سكرتيرة لسيدة أعمال عربية.. وأنها طلبت
أن تلتيه قبل أن تسافر إلى لندن لشراء حاجيات لهذه السيدة.

نصف ساعة لم تستطع أن تجلس أكثر منها رغم إلحاح هشام عليها
ومحاولة إخفاء قلقها الذي بدا عليها من هاتفها الذي لم يكف عن
الرنين، وسألها عنه فأجابته بأنه كل خير وسوف تلتيه حين عودتها
حيث ستسافر الأسبوع القادم.

- دالیا... ناداها هشام وهو يذلف خارج النادي، بينما يحاسب على
عصير البرتقال الذي تناولا، ثم أكمل:

- أنا أيضاً مسافر لندن.

راح وجهها يشبه الربيع في ابتسامته ثم عادت إليه لتسمع تأكيداً منه فأكد لها ذلك، ورجاها أن تمنحه وسيلة اتصال فأعطته رقمها في لندن، الذي يعمل في كل مكان حتى وهي هنا في مصر.

ألقى هشام بنفسه على الكرسي "البامبو" ناظراً إلى جبل المقطم الراسخ أمامه منذ سنوات، وراح يضحك ساخرًا مخاطبًا الجبل:

- هل حقاً أنك نُقلت بسبب دموع "سمعان الخراز"؟.. أنا أيضاً سأُنقل قريباً لكي أمتلك هذه الفتاة، وحتى لا أتحول إلى قواد!!
راح يتأمل نفسه ويسألها :

- هل حقاً سأَتخلّى عن مبادئ، ووثيقة الشرف التي أبرمتها بيني وبين نفسي؟.. ترى ما المبلغ الذي سأطلبه مقابل تلك الصفقة ألف.. مائة.. مليون، وماذا إن لم أبيع؟

- ستخسر وظيفتك ويُلقى بك في العراء، وتعود كما كنت جائعاً في شوارع العاصمة التي لا تعرف الرحمة، إلا بكل من يمتلك درهماً وديناراً.. ثم إن الكل باعوا كل شيء لأجل لا شيء، فلماذا لا تبيع شيئاً لأجل شيء؟

قال هشام.. ثم قرر أن يسافر إلى لندن، وأن يكون ثرياً لأجل داليا، مؤمناً بأن حواء سر السعادة، وليست سبب الطرد من الجنة...
وراح يبحث عن أول شريحة من التفاحة ليأكلها.

تكفى نظرة من عينيه ليصمت الجميع، وابتسامة من شفثيه ليبتسم الجميع، فهو يمتلك على الرغم من قصره الواضح أدوات الكاريزما، ويعرف أن الشباب هم الرهان؛ لذا يقترب من زيهم فهو يرتدي في أحيان كثيرة جاكيت بذلة على بنطال جينز، ويضع رابطة العنق العريضة "المودرن" وليست الكلاسيكية، يستخدم الألوان المبهجة في لقاءاته بهم.. أما في لقاءاته بالكبار فيرتدى الرابطة الكلاسيكية، فكل مقام رابطة عنق.. أما مقامه مع ولية نعمه فقد تعاهدا على أن يكون مقاماً بلا هندام.

"زكي بك" .. كما يحب أن يناديه أعضاء المجلس الموقر، يعتريه الأرق والهم رغم ثروته التي لو أراد عدها لظل سنوات أمام حجمها جالساً يتوه في أرقامها، وقد أدرك متأخراً أن المال ليس حلمه، لكنه الكرسي الكبير الذي يجلس عليه الرجل الكبير، الذي يرفض الموت أو الرحيل، وقد لعب زكي عبد الوهاب سياسة بذكاء منقطع النظير، فأجهض حب الناس قبل أن يبدأ لنجل الرئيس، ليثبت إلى من يقولون إنه لا يوجد بديل في مصر أنه موجود.. وها هو البديل لمن أراد حب هذا البلد !..

تراكمت القضايا والأوراق والمستندات وطلبات الإحاطة وراح الجميع يتناحرون تحت قمة البرلمان، بينما ظل عبد الوهاب صامتاً تحمل

شفتاه ابتسامة سخرية، ناظرًا إلى الأفواه الصارخة، وإلى شرفة الصحفيين التي تسجل هذه الصرخات، ترك الجميع يتناطحون وأجرى مكالمته من هاتفه المحمول بأحد مستشاريه، وبعد دقائق وصلته رسالة sms من سبعة مقاطع بها الترياق المنقذ بالنسبة له، أراد أن يطلب الكلمة، لكن وقت الاستراحة أزف. أثناء الاستراحة طلب من نائب المجلس إعادة مداولة النصوص التي ستقر، وراح يرد في الجلسة الختامية على كل ما صرخ به النواب بأدلة وحجج قانونية وبتخريجات رائعة، صمت الجميع وعلت وجوههم الدهشة واعتراهم الارتباك، بينما ينظر إليهم بابتسامته الساخرة كنجم سينمائي تصدر إيرادات الشباك وحقق مجده في المشهد الأخير.

أيام ثلاثة بلا مجلس شعب وبلا وجوه النواب التي تعكر مزاجه، ماذا يفعل فيها؟.. تعتريه هذه الأيام حالة ملل من الأميرة هناء، لا رغبة عنده لمضاجعتها، وحالة روحانية تسيطر عليه منذ التفت بابتسامته الساخرة إلى النواب، ووجدها جالسة بين اثنين من شيوخ النظام في مصر رغم عمرها الذي توقف عند الأربعين سارحة بابتسامة من فهمها الصغير، ووجنتيها الضاربتين بعمق في جمال المرأة المصرية، وعينيها الفرعونيتين اللتين تنتميان إلى حتشبوسوت ونفرتيتي. توقف متسائلًا: كيف لم يرها قبل ذلك، وما الذي تحمله هذه الابتسامة في لحظة إلقائه للكلمة، وفيما هي تفكر الآن؟

هي مبهرة لكل من شاهدها تتحدث برقة وأنوثة يليقان بأحاديث العشاق أقرب منهما بنائبة مجلس موقر، فتراكيبها اللغوية معزوفة

موسيقية شديدة الخصوصية لا يستمتع لها أحد سواها، وزكي عبد الوهاب يؤمن تمامًا بأن كل شيء مبهج في الحياة ليس من حق أحد أن يمتلكه سواه، أسوار البهجة محاطة بها، لذا يجب أن يحط أسوار الحديد فوق تلك المنطقة المبهجة.

لابد من حبكة الرواية وترتيب مشاهدتها دون تردد أو لخبطة في مشهد واحد فيها، فكان المشهد الأول لفت نظرهما بالبحث عن منديل لمسح نظارته، وهى تعبر أمامه بجيباتها القصيرة التي تكشف عن ساقين رائعتين راح ينظر لهما خلسة، وهو يتلفت حوله، وفى يده النظارة، بينما راحت تفتح حقيبتها، أمسك بأطراف أصابعها مع المنديل الخارج من الحقيبة شاكرًا لها، متأسفًا على أصابعه العامدة للمس أصابعها، ثم سائلًا لها عن رؤيتها في هذا النقاش المحترم. راحت تفسر وتوضح بينما هو غارق في عينيها، غير مدرك لما تقول، حتى انتبه فجأة لصمت شفتيها، فطلب منها تشريفه في مكتبه لتناول فنجان من القهوة: "لأن لي وجهة نظر تختلف عن وجهة نظرك".

رغم ذهابها للنقاش إلا أن فنجان القهوة لم يحمل سوى ضحكات ونظرات إعجاب متبادلة بين مال ومال، بين سلطة وسلطة، بين قوة وقوة، فمن قال إن الحيتان تتقاتل في البحر، الحيتان تتقاتل في مجلس الشعب، وتعجب إذا كان كل حوت يملك جزءًا من هذا البلد، لذا بادلتة نفس الإعجاب مع تبادل الأرقام "البرايفت".

وراحت المكالمات تطول مع المساءات الصيفية، مساءات صار الحب فيها رفاهية، فكل منهما ينظر من شرفته ليرى العالم الذي يمتلكه، ولم يعد ينقص كل منهما سوى الحب، وهى والدلافين وبقر البحر يقيمون علاقات من جنسهما، ولكن عبد الوهاب لا يريد الحب وحده، وتعلق المعشوق بمعشوقته، فابن عربي رحل منذ زمان طويل، يريد الحب ومعه الامتلاك، لكن حب هكذا بصيغة المفرد فلا، ولأن كل عاشق يعرف المسلك إلى عاشقه ويتمنى الأفضلية، فقد أعطاه عبد الوهاب أفضلية أن تكون زوجته مقابل شرطين اثنين: أولهما أن تستقيل من مجلس الشعب وثانيهما أن يبقى زواجهما طي الكتمان حتى يرتب أموره.

- صرفت ١٠ ملايين جنيه كي أحصل على عضوية مجلس الشعب، وإذا كان في السر فيجب ألا يقل مؤخر صدقي عن ٢٠ مليون جنيه.
- موافق...

قالها بلا تردد، فأحست أنها الأبهى والأجمل، وأنها العروسة المتوجة في بر مصر كله، وما هي إلا أيام حتى كانت معه في جزر الباهاما تقضى أجمل أيام عمرها بعد أن قدمت استقالتها لرئيس المجلس دون تردد، لأنها كانت تعرف من البداية أن زكي عبد الوهاب أكبر من مجلس الشعب، بل وأكبر من الحكومة نفسها، وأنها معه ستكسب الكثير، وكن يعلم فقد تكون سيدة مصر الأولى ذات يوم، ولما لا وهى تراقب خطواته واتجاهات بوصلته وما يفعله في مجلس الشعب أمام عينيها كل يوم، وما يفعله في البلد كلها أمام عيون كل المصريين.

ولكن الحياة لا تهب شيئاً دون ضريبة، فعبد الوهاب كان متقلب المزاج، كل يوم بحال كحال العاصمة. لم تتوقع أن تقضى أيام غسلها في هم، فهو يريد أن يسيطر وأن تكون الكلمة له، وألا تعرف مع من يتحدث في الهاتف طوال الليل، ولماذا يمسح الأرقام التي يهاتفها؟! لم يكن غموضاً سياسياً، بل كان غموضاً حياتياً، هكذا رأته حين اقتربت، وهكذا لم تحس بوجوده بجوارها، لم تشعر بامتلاكه.. هو فقط الذي امتلكها.

حاولت تحمله، وحين يضيق بها الحال ويعطو صوتها في وجهه تشق أنه لن يضحى بعشرين مليون جنيه ويطلقها، ولكن ما لم تتوقعه قدوم امرأة يتبعها حرس أمريكيان، يدخلون، يعجز لسانها عن الكلام، تنظر إليه بعينين مشدوهتين، بينما تلك المرأة تنظر إليه في احتقار، وليس على لسانها سوى كلمة :
- طلقها.

لم تعرف إن كانت زوجته أو عشيقته.. أم من تكون تلك المرأة التي صمت أمامها ولم ينبث، وهو الذي ينافح ويذود عن قضيته أمام الحكومة ورئيس المجلس ورئيس الوزراء كلسان النار لا أحد يستطيع إيقافه، جرت نحوه، أمسكها الحرس، لم تستطع الحراك، لم يفعل شيئاً سوى قوله وهو ينظر في الأرض :

- أنتِ طالق... ثم رحل مع سيدته وحرصها دون صوت، بينما تركها ملقاة على الأرض كريشة في مهب الريح ملت حملها، فأسقطتها في هذا المكان، وراحت تتلاشى مثل رمل البحر بعد موجة عاتية.

قبل أن يدلف هشام إلى مدخل الهيلتون تفاجأ بعدنان في مواجهته، احتضنا بعضهما ضاحكين، عرف من عدنان أنه ذاهب إلى دقدق في بولاق أبو العلا؛ صاحب عربية الفول التي لا يعلوها طبق فول آخر بالزيت الحار، وقبل أن يعرجا على ميدان عبد المنعم رياض، وجدا عيسى فهمي صديقهما الخليجي الذي يجيء كل عام في الصيف ليقيم في هيلتون رمسيس، يقف أمام الكشك الكائن في بداية شارع المول، ولأنه خليجي فقد كان سريع التعارف على بنات الليل، وله معهن غزوات، وبعد ترحاب وسلامات حارة أخذ عيسى كروت شحن الموبايل من الكشك، وقرر تناول العشاء معهما على عربية الفول بدلاً من العشاء في هيلتون رمسيس.

وقف ثلاثتهم يغمسون الفول فوق عربية دقدق والمخلل والماء البارد من الكولدير الذي أمام المسجد، الذي تقف عربية الفول بجواره، تحدث عيسى مذكراً هشام بمواقف مدرسة الفلسفة، وضحك عدنان وهو يتساءل مندهشاً عن هذه القصة مؤكداً أنها غزوة من غزوات هشام التي يعود فيها بخفي حنين، لكن عيسى أكد له أن الموقف غير ذلك تماماً، وبدأ قوله بأن الصديق له عند صديقه ثلاثة أشياء، والعادة أن المصري هو الذي يخدم الخليجي في هذه المسألة، ولو أن هشام سافر إلى بلد عيسى، فعيسى هو الذي سيأخذ هشام إلى أماكن

المتعة، ويعرفه على هؤلاء، لكن هشام كان يؤمن أن الرجل الخليجي بمثابة الطعم لاصطياد مثل هذه النوعية من الساقطات، وتوقف عيسى للدفع لكن هشام أصر.

- إن زين.. طبعاً لازم تدفع إنت لأنه فول لكن لو كان كباب كنت عملت نفسك جعان وخلصت أكل بعدنا كلنا.. قال عيسى ضاحكاً وعدنان ثم انصرفوا للجلوس على مقهى مجاور لعربة الفول أغلب زبائنه من السودان، مما أدهش عيسى، علق عدنان ضاحكاً وهو ينظر إلى الزبائن :

- ده النوع اللي بيحبه هشام.. ثم طلب من عيسى أن يكمل القصة.. رفع عيسى جلبابه الأبيض الخليجي، وهو جالس على كرسي خشب ليظهر كالسونه الأبيض، وهو يرتدى "ششبب" جلد في قدميه الكبيرتين المناسبتين لجسده الضخم بطوله الفارع وبشرته البيضاء، ثم أكمل :

- صعدت وهشام في أسانسير الفندق، فوجئنا معنا بامرأة في بداية الأربعينيات من عمرها، لازالت تحمل جمالاً من أيامها الخوالي، نظرت لي بعينيها باسممة، رحبتُ بها، تجاوزت معي، نظرت إلى هشام فوجدت السعادة مرتسمة على وجهه، وسألته إن كانت تحب أن تأتي معنا، يبدو أنها كانت ذاهبة لمواعدة في إحدى غرف الفندق، رحبت بالصعود إلى غرفتي في الطابق الثاني والعشرين، ولما سألتها كيف هربت من موظفي الأمن، فقالت إن لديها صديقاً منهم تعطيه مائة جنيه في العبور الواحد.

دخلنا الحجرة، جلست معنا، سألتها على وظيفتها فادعت أنها تعمل مدرسة فلسفة بالنهار وأكروبات بالليل. ثم قالت: ما الذي تريدونه؟ وضعتُ يدي بين نهديها وقلت لها هذا ما نريده، ضحكت واتفقتنا على السعر، وهو ٢٠٠ دولار في الـ "one shot"، أخبرني هشام أنه يريد، نهضت خارجاً لأخبرها بأنني لا أريد ولكن الأستاذ هشام هو الذي يريدك، ثم نزلت إلى الطابق الرابع حيث كنت قد حجزت غرفة لصديقتي لتقيم فيها على راحتها، وحتى أستطيع الذهاب إليها في أي وقت، وإذا أردت المجيء بفتاة أخرى وجدت غرفتي جاهزة، وظل هشام معها ساعة، ثم أخبرها بأن الغرفة غرفته وأن هذا موعد تنظيف الغرفة، حيث أخبر موظف خدمة الغرف بأن يجيء بعد ساعة قبل أن يلتقيها وأن عليهما المغادرة الآن إلى الطابق الرابع حيث يوجد صديقه الذي سيمارس الجنس معها أيضاً، لكنها رفضت الخروج قبل الحصول على المائتي دولار، ارتدى هشام بنطلونه وقميصه، لكنه لم يستطع ارتداء حذائه، في هذا الوقت كان هناك صوت خارج الغرفة حيث كانت إحدى موظفات خدمة الغرف تمر في الطابق، ناداها هشام وأخبرها بأنه يريد تنظيف غرفته الآن، وعليها أن تأتي بعربة التنظيف، ثم طلب منها أن تخرج إلى الأسانسير وسيتبعها فوراً، وبالفعل خرجت في اتجاه الأسانسير، وخرج هشام في اتجاه سلالم الفندق، وفي رجليه شبشب الحمام، ولم يتوقف عن الهبوط من الطابق الثاني والعشرين إلا في الطابق الرابع.. فتحت له الحجرة مذهولاً، أخبرني أن الأمور على ما يرام، فقط باب الغرفة أغلق من الخارج وأنه صرف مدرسة الفلسفة ولم يتم شيء بينهما.

خرجتُ معه لنعود مرة أخرى إلى غرفتي، أثناء صعودي الأسانسير من الطابق الرابع تراجع هشام إلى الخلف لأجد داخل الأسانسير مدرسة الفلسفة ومعها رجل خليجي، وإذا بها تفاجئني القول:

- هل يرضيك أن صاحبك يأخذ متعته مني ثم يهرب ولا يعطيني ما اتفقنا عليه... ثم انهارت في موجة بكاء حارة، بينما الرجل يمصص شفتيه، وأنا لا أستطيع أن انطق بكلمة واحدة.

تنكرت لها وأخذت أحدثها بلهجة خليجية قحة حتى لا تفهم كلامي، لكنها جاءت معي إلى الدور الثاني والعشرين لنجد ثلاثة من أفراد الأمن في مواجهتنا وإذا بها تتعقبني لتقول لي: اتصل بصاحبك.. ممكن يكون تحت، قلت لها: صاحب من؟! ما أعرف عن من تتكلمين ثم تركتها ليسألها رجال الأمن عن وجهتها ويدخلونها معهم في الأسانسير حتى تخرج من الفندق كله.!

استلقى عدنان من الضحك المتواصل وهشام يضحك ولكن في خجل أراد عيسى تغيير الموضوع لكي يتلافى خجل صديقه أمام أصحابه، سأل عدنان: صحيح من الذي بنى هيلتون رمسيس؟

أجاب عدنان: بعد ما الرئيس السادات فتحها بانفتاحه الشهير تم بناء الفندق عام ١٩٨١ بنته شركة سويسرية، وكلفهم حوالي ١٠٠ مليون دولار وأنشئ في ثلاث سنوات.

- مو معقول.. قال عيسى.

أكمل عدنان: وقتها الناس اندهشت ولم تصدق أن فندق ٣٠ دور و٨٥٩ غرفة ينتهي بهذه السرعة.

ضحك هشام قائلاً: ماشى يا عم القاموس.

ثم نهضوا إلى مول الهيلتون، لكن هشام أحس باختناق داخل المول ففرض عليه عدنان أن يذهب إلى عمارة دوحة ماسبيرو التي يقيم فيها، لأنه لم يسبق إلى هشام أن ذهب إلى مسكنه، وأن يتحدثا في هدوء.

هشام ذهب معه وبداخله سعي حثيث لاكتشاف هوية عدنان، وإن كان بمقدوره أن يدلّه إلى حيث يذهب، وبعد أن اتخذا طريقهما إلى عمارة دوحة ماسبيرو وصعدا إلى الدور الثاني في ظلام مطبق، لاح على البعض وميض نور من لمبة صغيرة، مشياً تجاهها، صرخ هشام مذعوراً وقفز حوالي مترين، شيء ما أمسك به من قدمه ؛ لكن ضحكة يتبعها سعال تبعت صرخت هشام، حيث كان أحد العمال يقضى حاجته، وأراد مداعبة عدنان فجاءت في صديقه، وقفا أسفل اللمبة محيين جمع غفير من الصعائدة الذين تمدد بعضهم على كراتين افترشوها تحتهم، وبعضهم الآخر جلس يدخن "الجوزة".

انفرد عدنان بهشام جانباً، وأخبر هشام بأن هذا مقره، وعليه أخذ راحته، جلس هشام وسند يده على وسادة عدنان التي لم تكن إلا مجموعة من الكتب، راح يتفحصها، وراح يحرك ناظريه بين عدنان والكتب، والذي أجابه ضاحكاً بالأ يندهش من عمله في طائفة المعمار وتجواله في أروقة مول الهيلتون، فهو لا يستطيع النوم دون أن يقرأ.. وهنا أدرك هشام أن عدنان هو الذي يمتلك النصيحة الصحيحة من بين أصدقائه، وبعد أن حكى له هشام سر حيرته، اعتدل عدنان

وهما يشريان القهوة وقال له بلهجته الصعيدية: لا تتردد في فرصة مثل هذه يا واد عمى، فرييس التحرير إنسان شريف حسب ما قلت لي من أنه رفض رشوة من ولد المحرقين إياه، لذا لن يبييعك أو يبيع نفسه، كما أنك ذاهب هناك للبحث عن الحقيقة، وهذا ما خلقت الصحافة لأجله، كما أريد لفت انتباهك، ففي النجع الذي جئت منه كان هناك رجل فقير يحب الناس ويتمنى قضاء حوائجهم، ولكنه لا يستطيع لأن الحاجة والفقر أضعفاه فسافر لإحدى دول الخليج وعاد أثناء غزو العراق للكويت ومعه سيارة بها ١٠ كيلو ذهب، باعها وأصبح ثرياً واعتبر ما حصل عليه غنيمة حرب رغم أنها سرقة، ثم راح يحل مشكلات الناس، فالأموال تمنحك القوة في مواجهة هؤلاء الفاسدين في البلد، وعدم الحاجة تجعلك أكثر ثراء.

راح هشام في نوبة صمت طويل، ثم ترك عدنان وخرج إلى ميدان عبد المنعم رياض، وكان الليل قد ولى ولاحت تباشير الصباح، لفحته نسمة هواء عابرة ففتح ذراعيه أمام تمثال الشهيد عبد المنعم رياض وصرخ:

صباح الخير أيها الشهيد

صباح الخير أيها الوطن

صباح الخير أيها المتحف

وأثناء صراخه عبرت بجواره فتاة ليل، نظر إليها وصرخ أيضاً:
صباح الخير أيتها اللياليات اللاتي تسكن أسيرة الفنادق حتى الصباح.

أشارت الفتاة ويدها بجوار رأسها على أنه مجنون، وأشارت إلى تاكسي، بينما غاب هشام في شوارع وسط البلد حتى وصل إلى مقر جريدة "الصوت الحر" في شارع قصر العيني، لم يكن أحد هناك سوى الأمن وعمال النظافة وعامل البوفيه الذي رحب به واستغرب تبكيه، لم يعلق هشام سوى بطلب فنجان قهوة، وظل يشخبط على ورقة بيضاء أمامه، حتى بدأ زملاؤه المجاورون له في مكتبه يأتون واحداً بعد الآخر، وتحول الهدوء والصمت القاتل إلى صخب الألسنة وعنف الأقلام على الأوراق البيضاء والأيدي على أجهزة الـ"لاب توب"، وراحت أجهزة الهاتف ترن بلا انقطاع، وراح زملاء هشام يتملون الأخبار كل حسب عمله بلا انقطاع، حتى لمح هشام رئيس التحرير قادماً بأنافته غير المعهودة فيه، والتي ظهرت عليه مؤخراً لظهوره في العديد من الفضائيات، هرول هشام خلفه :

- ياريس أنا موافق على السفر، فمتى؟!

- قريباً.

قال له ثم ابتسم مقترباً منه مكملاً قبل أن يدخل إلى مكتبه:

- أرجو ألا تنسيك فرحة السفر إلى لندن أن تقول صباح الخير.

ورث رامي فكري الجاه والمال والعز والسلطة، لكنه كان بحاجة إلى شيء آخر عجزت نساء الأرض عن توفيره له، فقد مات أبوه وترك له مئات الألوف التي لم يعرف استغلالها، أنفقها في مشاريع وهمية وقت أن كان طالباً في كلية الشرطة، وحين تخرج كان "مول هيلتون رمسيس" محل خدمته بعد واسطة كبيرة استطاعت نقله إلى هناك، وراح بهيبة بدلته البيضاء يصطاد فتيات الليل ويقيم معهن علاقات طويلة، بل إن العديد من فتيات الليل غيرن محل نشاطهن إلى فنادق أخرى لإحساسهن بالتلصص عليهن دوماً من قبله.. وقد التقى هشام ورامي ذات ليلة بعد مشادة عنيفة أدهشت رامي عن وقوف شخص ما أمامه وفي عرينه، ولما عرف أن هشام صحفياً راح يوجد حلاً للأمور، خشية أن يؤدي خبر صغير عن ضابط يصطاد فتيات الليل بدلاً من منعهن من مزاوله نشاطهن؛ إلى ضياع مستقبله، ثم أعجبه حميمية هشام وعلاقاته المتعددة بفتيات هيلتون رمسيس، فراحت الصداقة تتوطد بينهما يوماً بعد يوم، بل وراحا يتبادلان النساء معاً، ومن ثم أمد هذا الأمر هشام بغطاء من الحماية، جعله يزيد في بجاحته في التعرف إلى المحترقات وغير المحترقات.

ولم يكتف رامي بفتيات هيلتون رمسيس، بل كانت له طرق أخرى في اصطيد بنات الليل، فقد كانت له حاسة غريبة يستكشف من خلالها

إن كانت هذه الفتاة فتاة ليل أم لا، وكثيراً ما كان يهرول بسيارته خلف فتيات في سيارة أجرة؛ مطالباً السائق بأن "يركن على جنب" ومدعيًا الحديث في اللاسلكي: "قبضنا على الهدف ياباشا"، ويثبت الفتاة والسائق، ويأخذها إلى سيارته، معنفاً إياها، واعدًا بالويل والثبور، وتبدأ دموع الاستعطاف والمطالبة بالسماح، وأنها اتجهت لهذه المهنة لتصرف على إخوتها الصغار، أو لإجراء عملية لأمها المريضة لتتقدها من بين براثن الموت التي لا ترحم.

يعرف رامي تلك القصص لأنه سمعها مراراً، يتركها في أمها ونحيبها المصطنع حتى تنتهي تماماً ولا تجد ما تقوله، تندهش حين تمر سيارة رامي أمام قسم شرطة مدينة نصر ولا تتوقف، تخرج من رعبها سائلة إياه عن المكان الذي سيأخذها إليه، يخبرها أنه ذاهب إلى شقته في الحي العاشر لقضاء ساعتين، "أم تودين الذهاب إلى القسم للبقاء سنتين"، فتجيبه "الساعتين أحسن.. زي ما أنت عايز أنا معاك ياباشا"، ثم تمد يدها إلى فخذه مداعبة إياه، قائلة له "مش كان قلت من بدري.. وقعت ركبي" فينظر لها شاخطا "بت".

هكذا اعتاد الإيقاع بضحاياها من خلال بذلته الرسمية. وخلاف شقة الحي العاشر، لدى رامي شقة أخرى في شارع عباس العقاد يقيم فيها مع والدته التي تنتمي إلى عائلة ذات جذور أرستقراطية كبيرة تاريخها ضارب في المكاة والثراء، ورغم إلحاح أمه الدائم على زواجه ومحاولة إقناعه بالذهاب إلى نادى الجزيرة كل جمعة ليختار

الفتاة التي تعجبه، إلا أنه يظل نائمًا يوم الجمعة حتى الخامسة مساءً، غير مستجيب لإلحاحها بأن يذهب لصلاة الجمعة أو حتى إلى النادي. يعيش حياته على طريقته هو لا كما يريد الآخرون.

وذات ليلة التقى هشام أمام مول هيلتون رمسيس، حاول الاتفاق على فتاة رائعة الجمال، لا تعير اهتمامًا لأحد، تأتي منذ يومين إلى المول، وتدخل محل فساتين الزفاف في الدور الأرضي، وتظل ما يزيد على الساعة تختار في حيرة بين أنواع الفساتين ومعها صديقتان لا يستجيبان لأحد. وتراهن هشام ورامي عليهن، لكن رهانهما باء بالخسران، قرر رامي أن يأتي بهذه الفتاة مهما حدث، انتظرها وصديقتيها أمام المول حتى صعدن إلى سيارة خاصة بهن، صعد هشام مع رامي في سيارته وتبعها سيارتها التي اتجهت إلى مبنى التليفزيون ثم اتجهت إلى يمين المبنى حيث حي بولاق أبو العلا، ثم استدارت وعادت إلى ميدان عبد المنعم رياض وصعدت فوق كوبري أكتوبر في اتجاه مدينة نصر، ورامي وهشام وراءهن. وفوق كوبري أكتوبر أخرج رامي جهازه اللاسلكي وهو يلوح لهن ويطالبهن بالوقوف على جنب، ثم أمرهن بالنزول من السيارة وهو يكرر جملته "قبضنا على الهدف يا باشا.. كله تمام" ثم دفعها في سيارته بالقوة، بينما صديقتيها يعلو صوتهما، وقبل أن يصل رامي وهشام ومعهما الفتيات إلى منزل صلاح سالم، كان كوبري أكتوبر مغلقًا بعدة سيارات شرطة من بدايته حتى نهايته، أحس هشام بالخوف، وما إن وقف

الشارع المزدهم حتى انسل من السيارة تاركاً رامي يواجه مصيره قاتلاً لرامي وهو يجري : "لن أشارك في أفلام أمريكية" ..

فوجئ رامي بعدد من البودي جارد يوقفونه في أول إشارة من صلاح سالم، وينزلونه من سيارته ويضربونه بعنف، ثم حطموا سيارته وأخذوا الفتاة التي اتضح أنها ابنة مسؤول كبير سابق، وتم تحويل رامي إلى سلسلة تحقيقات طويلة، تدخل خاله لدى العديد من المسؤولين فتم تمزيق قرار شطبه من الداخلية، نقل إلى الواحات ليظل فيها ثلاثة أشهر، واستطاع بالضغط على أمه أن تتوسط له بأن يعود إلى القاهرة، ولكن في قسم شرطة الهرم، ورغم سبق وصول سيرته السيئة إلى زملائه إلا أنه لاقى ترحيباً كبيراً منهم !. ربما لأنه سليل عائلة أرستقراطية وسيكون له جدوى يوماً ما، أو ربما لتسرب المرض الطبقي الذي يفض طرف العيون - ولو عمداً - عن مساوئ تلك الباشاوية التي اتسعت مساحتها في ذلك العهد، بل وبشراسة لم تكن تعرفها القاهرة المعز زمن الملكية نفسها.

ومثل رامي للعلاج النفسي تحت إلحاح أمه ؛ بين يدي طبيب نفسي شهير في وسط البلد لتلقي جلسات علاج لمدة يومين أسبوعياً، ربما يستطيع معرفة الأسباب الحقيقية لتناقض شخصيته !

لم يكمل رامي عامه الأول في قسم شرطة الهرم حتى كان وزير الداخلية يوقع على قرار فصله من الشرطة نهائياً ودون رجعة، حتى لو توسط لعودته رئيس الجمهورية ذاته، وكانت القضية التي تورط فيها هذه المرة لا تتعلق بقضية واحدة ولكنها عدة قضايا، فقد سهل

هروب فتيات يعملن في شارع الهرم في تهريب المخدرات مقابل قضاء عدة ليال مع كل منهن، وبعد عام من السجن خرج رامي إلى مول هيلتون رمسيس يقضى فيه ليله ونهاره في شقته بالحي العاشر، رافضاً الإقامة مع أمه رغم إلحاحاتها الطويلة عليه، بل إن أمه تحدثت لأكثر من مرة مع هشام، الذي تعرف إليها أثناء أزمة ابنها الأولى، لكي يقتعه، لكن رامي كان حاداً مع هشام طالباً منه عدم التدخل في الأمر، وكان هشام يستجيب لرامي مدرّكاً تلك السيكولوجية العنيفة التي تربي عليها.

يمتلك رامي سيارة يزيد ثمنها على المائتين وخمسين ألفاً، إلا أن القناعة لا تعرف إلى قلبه سبيلاً، فهو كاره لكل من تتفوق "ماركة" سيارته الخاصة عليه.. وينسحب هذا الأمر حتى على الملبس، فهو كاره لكل من يرتدى ملابس تفوق ملابسه.

وقد تعرف رامي على عيسى الخليجي من خلال هشام، وأقام علاقة قوية معه، وعرفه عيسى بدوره على العديد من الشيوخ الذين رحبوا بوجود رامي فيما بينهم، والذي يتباهى كثيراً بمغامراته النسائية..

أدمن رامي مضاجعة النساء وممارسة الجنس إلى حد الهوس، وراح يأتي بنساء ويمارس الجنس معهن في حجرات أصدقائه في الفنادق الخمس نجوم ويوفر على نفسه مشوار الحي العاشر، ولا يدفع لهن، فهو الآن بلا سلطة ولا يستطيع الادعاء بأنه ضابط لأنه مضى على إقرار يفيد ذلك؛ وسيذهب وراء الشمس لو كررها، كما أن العلاقات مع العرب تبعده عن أعين رجال الشرطة، وتجعله يصاب بإحساس

السمو عن غيره من المصريين الذين طردوه من بينهم، لكن بعض الشيوخ يحبون التسيد وقضاء المتعة بمفردهم دون مشاركة أحد، خاصة لو كان مصرياً، وراح رامي يستجيب وينفذ ما يطلب منه، وبدأ يجلب العديد من فتيات الليل إلى بعض الشيوخ العرب، الذين يأتون للسياحة الجنسية في القاهرة، مقابل أن يحصل على أتعابه، ومن ثم أصبح رقمه متداولاً في أغلب دول الخليج، وقبل أن يقرر شخص ما المجيء إلى مصر فإنه يجرى مكالمتين مهمتين إحداهما للفندق لحجز الجناح الخاص به، والأخرى لرامي لحجز أكبر عدد من فتيات الليل لقضاء أجمل الليالي الصيفية في القاهرة المعز.

وأصبح لرامي أكثر من رقم هاتف وأكثر من جهاز محمول، وأكثر من سيارة، لكنه لم يكتف، كان إحساسه بأن أي زبال في الشارع أفضل منه لأنه لا يرفع الإبريال يصيبه بالآلم والإحساس بالغثيان، يريد أن يكون الأهم، والأقوى، والأفضل، لذا راح يعامل الناس بعنف وقسوة، وكلما تذكر نظرة أحد الشيوخ له، والتي تقول له : كم تريد يا قواد؟! كلما أمعن في قسوته على بسطاء الناس، وراح يصنع حياة من وهم، ويعيش في دخان هذا الحريق الداخلي، يتحدث أمام هشام عن سطوته وقوته وأمواله، بل لم يخجل وهو يخبر هشام بأنه وسيط بين عاهرات ليل وشيوخ عرب، بل ولم ير ذلك عيباً، فسياسة مصر في ذلك العهد "شيلني وأشيلك.. وصاحب المال هو الذي يحكم.. وهو الأقوى"، وحاول هشام أن يبعده عن طريقه الخاطئ، لكن رامي كان قد تجاوز كل إشارات المرور الحمراء.

أنف رفيع طويل مدبب فوق ملامح تسكن بهواً فرعونياً تبدو والدة هشام، وهي تنظر من نافذتها في آخر الليل حيث لا يبدو سوى ضوء خافت يظهر على البعد، يكشف وجهها الأسمر وذقنها العريض وشعرها الأبيض المتقصف، خوفها على هشام أكبر من حنينها إليه، منذ قرر ابنها العمل في بلاط صاحبة الجلالة وهي تكره البلاط والجلالة، وتدعو الله أن يجنب ابنها أي صاحبة، هي تعرف أن الصحافة همّ كبير ومتاعب لا تنتهي، وقد عايشَت مشكلات ابنها؛ وتجاوز قلقها قلقه، ولكم تمت أن يمتن هشام الطب أو الهندسة أو الزراعة، ويبتعد عن هم القلب اليومي، ورغم كل هذا القلق والهم، على وجهها نقوش محفورة عبر أخاديد طويلة تبدأ من جانب العينين وتنتهي أسفل الفم الذي قليلاً ما ضحك، إلا أن هشام لم يخبرها سوى بجزء صغير من المآسي التي تعرض لها.

وما إن لمحته حتى تهللت أسارير وجهها، وراحت ابتسامة تزيل الشحوب العالق منذ زمن على ملامحها، سارعت بفتح الباب له، احتضنته، سارعت بتجهيز عشاء له، لا يأكله كعادته، إذ يمر على المطاعم في غدائه وعشائه ولا يريد أن يكسفها ولو بلقمة واحدة.

رغم أن هذه المرأة كانت باعثاً على تمسكه بمبادئه وقيمه وحرصه على مصداقيته في الكتابة، إلا أن هشام قرر أن يبيع كل ما يملك من

قيم ومواثيق شرف هذه لأجل هذه المرأة، ولأجل أن تعيش ما تبقى لها من عمرها في رغد عيش وفي بحبوحة من حياة قاسية كلها ألم وشقاء، وفاتها في موضوع سفره إلى لندن، وهي التي لا تعرف شرق الدلتا من غربها، وحياتها تتلخص في مكانين، قريتها، والحارة التي تسكنها في القاهرة، والأمكنة الأخرى بالنسبة لها بحر واسع لا تقربه خشية الغرق، لذا صرخت: "كيف تذهب إلى هناك، والعراقيون يموتون كل يوم، أخاف أن يرمي عليك الأمريكان قنبلة"، فراح هشام يكشف لها عن الفرق بين لندن والعراق، وأن هذه في قارة، والثانية في قارة أخرى.. ظلت دائمة التساؤلات حول من سيكون معه، ولماذا يسافر، ومن سيلتقي؟ فأخبرها أنه ذاهب لإجراء حوار مع عبد الكريم ناصيف، فقالت له: وهذا وزير إيه؟

- هذا وزير الموتى الذين ماتوا في عبارته الشهيرة وهم قادمون من الغربية.

صرخت وضربت على صدرها، لانعرف أيهما فعلته أولاً لكن الفلعتان فجرتا تيار الألم الصامت الذي يخفيه هشام خلف ظهر ذاكرته، محاولاً أن ينسى الأمر، وراح يفسر لها أنها "خطبة" صحفية وأنه سوف يدينه ويكشف كذبه للعالم كله/ وينتقم بقلمه من أرواح ضحاياه.. ويعلم أنه كاذب، لذا شرد بعينه بعيداً عن وجه أمه كعادته حين يكذب.

لا شيء يخيفه في العالم قدر نظرة الغضب حين تبرق تلك العينان اللتان راعته وزرعت فيه مواثيق الشرف، تلك العينان اللتان خسرت كل ما تملك باستثناء الشرف، لأنها لم تمتلك سواه.

سرح هشام طويلاً في سيرة أمه بعد رحيل أبيه ورؤيته لها وهي تبيع الخضار في السوق جالسة أمام فرشها، بينما يلعب هو مع الأطفال أقرانه وتأخذه لتجلس بجوار مقطف الخضار يأكل معها المش بالعيش اليابس، ثم محاولاتها الفاشلة في تعلم الحياكة، وفشلها التام في الحصول على ماكينة خياطة بالتقسيط، فهي لم تكن تملك قسطاً فضلاً عن مقدم الماكينة، فعملت بمشغل خياطة عند سيدة متجبرة لا تعطيها سوى نصف حقها.

كان هشام يؤمن بأمه مثل إيمانه بوجود الرب، وكان يؤمن بشرفها مثل إيمانه بالحياة، لذا كان يتميز من الغيظ حين يقارن مسيرة حياتها بأولئك اللواتي يلتقيهن في طرقات وسط البلد، بانعات الهوى دون أدنى تردد ولو للحظة واحدة، يستريح نفسياً إذا حكى له إحداهن تلك الحكايات التي أصبحت على لسان كل منهن بالوتيرة نفسها وبالإيقاع ذاته "ضحك عليّ أول من سلمته مفاتيح قلبي وخذلني وبعد ذلك سرت في هذا الطريق لقسوة الحياة"، تلك الحكايات التي تخدر الضمير وتطلق للشهوة عنانها المباح، ويتساءل لماذا لم تتحول أمه إلى مثل هؤلاء، وما سر تمسك الريفيات بالشرف إلى هذه الدرجة، وما سر صراخ الفتاة ليلة الزفاف حين تشاهد، رجلاً يفتك بها رغم أنه زوجها، ولماذا لا يتكرر هذا المشهد في القاهرة؟؟

حكايات وحكايات جرت هشام إليها وهو جالس يمضغ لقمة من عشاء أمه، وفي عينيه حلم بأن ينحني على قدميها ويقبلهما، بل ويقبل التراب الذي تمشي قدماها عليه.

ارتقى على سريريه، حاول أن ينام، لكن النوم يهرب منه، وهو الذي ما إن يضع رأسه على الوسادة حتى يروح في نوم عميق، ما هذه تسكعه في شوارع وسط البلد، وهو الذي جابها من ميدان الأوبرا شرقاً حتى نهاية شارع ٢٦ يوليو في مدخل الزمالك حيث بحث عن غانياته في فندق الماريوت، وأحس أن جو الماريوت خائق بالنسبة له حيث يسكنه الجو الأرستقراطي المبالغ فيه لحد الإسراف، وليس ثمة دلالة شعبية واحدة فيه تستهوي هشام.

ليس هناك ما يدعو للحياة.. فالفنادق التي بلا صخب، وبلا غانيات وبلا عباتٍ سوداء لا قيمة لها، لذا عاد إلى شارع رمسيس شمالاً وظل يمشي حتى شارع المبتديان جنوباً متأملاً متاهات الشوارع والفيلل المهجورة والشبابيك التي ينام التراب فوقها كـ"عاشق هذه التعب" ..

فكر كثيراً في مصير الأيام المقبلة، لكن أمراً واحداً انتهى إليه، سوف يخوض التجربة وليكن ما يكون، لابد أن يكتشف هذا الرجل وماذا يحمل وما الذي يريده؟ كما أن هشام كان بحاجة إلى اكتشاف رئيس تحريره من جديد، كيف رفض رشوة ثم يسافر إلى رجل ذبح بسطاء المصريين بسكين تلمة..!!؟

ضحك هشام من مقولته الدائمة أن البيت للنوم فقط وليس لغرض آخر، فهشام يحب القراءة والثقافة، ولكن ليس لديه وقت للقراءة، إذ يرى أن الصحفي الحقيقي هو الذي يفهم سياسة ولديه مقدرة على تحليل الأحداث السياسية وربطها ببعضها البعض، ومتابعة الأخبار

والتواجد في الميدان، أما الانغماس في عالم الروايات ودواوين الشعر فما هو إلا عالم كاذب لا جدوى منه سوى إضاعة الوقت في قراءة كتب كتبها أصحابها تحت ظروف سكر أو فوضوية أو عبث، وأغلبها نرجسية تفوق طاقة البشر.. هكذا يؤمن هشام دائماً، لكنه يحتفظ بهذا الرأي لنفسه.

انتبه هشام إلى هاتفه المحمول الذي وضعه على النظام الصامت لكي ينام، يضيء وينطفئ، وظهر له رقم داليا الدولي، لذا سارع بالرد عليها، وهى تقدم له اعتذاراً عن تأخر الوقت للكلام، وإصابتها بالأرق من إجهادها في التفكير، لكن هشام راح يؤكد لها أنه كان بحاجة إلى هذه المهاتفة، وأنها كلما حدثته يتوقف عمره عند هذه اللحظات، تزداد دقات قلبه معلنة فرحاً جديداً وحلماً سعيداً في طريقه للدخول إليه، وأنه منذ رآها أسكنت البهجة في أيامه، ولكم تمنى أن قابلها قبل ذلك بزمان كبير، فراحت تؤكد له أن ينتظر ولا يتعجل الحكم عليها هكذا بسرعة والتعلق بها لأنه لا يعرف شيئاً عنها، لكنه أكد لها أن قلبه لا يكذب عليها فقد اختبره من ذي قبل ويعرف لحظات صدقة.

- معنى ذلك أن قلبك مرّ بلحظات صدق كثيرة قبل ذلك..

قالت ضاحكة، ثم صمتت لقوله إنه يريد الحديث معها عن كل شيء مرّ به في حياته، عن كل اللواتي عبرن هذه الحياة ثم مررن إلى ظلام وبقيت هي في دائرة الضوء، وأن يحكى لها عن عذاباته قبل أن

يلاقئها، فأجابته بأنها في حاجة إلى التحدث معه عن حياتها أيضًا،
وسألته عن موعد مجيئه إلى لندن.

- بعد خمسة أيام سأكون في لندن، أما حياتك السابقة وماضيك فلا
يعنيني في شيء ولا علاقة لي به، أنتِ حاضري فقط وأريد أن أكون
حاضرك.

وبعد قوله انقطع الاتصال، فنظر للهاتف ساخرًا ثم قال:
حتى الهاتف يعرف ذكرياتي في هذه الجملة، ولا يريد أن يصدقني!!

- "من قال إن لندن شاحبة؟! من يطالع وجهي الآن يعرف أن الشحوب خلق مني" ..

كانت هذه أولى كلمات هشام، وهو يهبط سلم الطائرة متأملاً جو لندن الساكن في آخر النهار، وأمامه رئيس التحرير وصحفي آخر؛ صُعق هشام حين عرف بذهابه معهم إلى لندن، سأل رئيس التحرير بعينه عن السر في ذلك، أخبره أنه يحب طارق التلمساني لأنه صحفي متميز ونشط ويسمع الكلام، وأكد مخارج حروفه وهو ينطق الجملة الأخيرة، ليفيق هشام من غيبوبته، فالتلمساني يسمع الكلام بالفعل وما من فرصة لباب الرشوة إلا وكان أول الفاتحين، وما من رجل أعمال تريد صحيفة "الصوت الحر" أن تحطم مستقبله في عالم البيزنس إلا وكان قلم طارق هو المطرقة الأولى في تاريخ الرجل لصالح رجال أعمال آخرين.

طارق وهشام كلاهما قدم في وقت واحد إلى الصحيفة وعملاً معاً، لكن طارق صعد بسرعة، كلما منحه رئيس التحرير ملفاً ليكتب فيه ازداد غروراً لدرجة أنه لم يعد يتحدث إلى زملائه، وإذا صادف أحدهم في الشارع لم يجبه، وكان ينتظر أن يتولى منصباً، لكن رئيس التحرير كان يسكته بجملة: "أنت ذراعي اليمين"، وراحت الصفقة تلي الصفقة حتى كون طارق التلمساني مبلغاً لا بأس به، بل

حين ذهبوا إلى فندق "سافوي" الذي يطل على نهر التيمز، وأبدى هشام دهشته لطارق، أجابه طارق بضحكة يملؤها الغرور:

- يا بني أنت في ضيافة عبد الكريم ناصيف، وكل ضيف يكرم بمقامه...!

- أليست هذه الرحلة على حساب الصحيفة؟! قال هشام مندهشًا، لتزداد ضحكات طارق وغروره.

عندها تأكد هشام أن رئيس التحرير كان بحاجة إلى اسم شريف لم تلوثه أموال رجال الأعمال، يغطي على ما يفعل، وراجع أوراقه ليتأكد أن رئيس التحرير رفض الرشوة إياها أمام عينيه وفجر القضية في الصحيفة، لأنه كان يدرك جيدًا أن صلاح جابر كان سيسجل له قبوله الرشوة ويفضحه في الصحف، وقد أعلمه بذلك مسؤول كبير، عرف ذلك بالصدفة حين حدثه طارق دون أن يدري وبكل غرور أنه يعرف دبة النملة في مصر، و لولاه ما كان لصحيفة "الصوت الحر" أي مكانة أو قيمة في مصر، ثم راح يخبره بمكالمة تلقاها من أحد كبار المسؤولين تخبره بما سيحدث، وما السر في بقاء رئيس التحرير في منصبه حتى الآن، لذا فلا شيء يقف أمامه، ولذا يحبه رئيس التحرير كثيرًا لأنه الشخص الأكثر وفاءً وحبًا له.

تدارك طارق كلماته فتوقف ناظرًا إلى نهر التيمز مندهشًا، عاضًا على أصابعه، كيف جعله غروره يخرج هذا الكلام، بينما كاد يغمى على هشام.

ذهب كل منهما إلى غرفته لتزداد حيرة هشام وشحوبه، وهو عاجز عن التصرف، وجد نفسه يطلب رقم هاتفها من الفندق لترد عليه في تحفظ على أنه امرأة.

- كيف حالك؟ اشتقت إليك كثيرًا

- يرد : بخير

- ترى أين تقيمين بلندن؟

- بفندق "سافوي" الذي يطل على نهر التيميز.. بالتأكيد تعرفينه

- طبعًا.. ومتى ستكونين في غرفتك؟

- غدًا أنا ذاهب في الصباح لإجراء حوار صحفي مع عبد الكريم ناصيف.

صمتت داليا دقيقة ناظرة لرجل أمريكي من حراس الأميرة هناء يرافقها، ثم أخبرت هشام أنها حين ستراه ستأخذه إلى شارع الملك إدوار لأنه به محل ملابس حريمي رائع، ثم أوصدت الهاتف.

شحوب آخر وحيرة أخرى اعتليا هشام، لم يفلح من جذبه في إنقاذ عينيه من التحديق في اللاشيء، وقف ناظرًا لنهر التيميز مخاطبًا إياه: كم من الفروق بين ليل نيل القاهرة وبين ليلك، وإن اتفقتما على الوحشة؛ لكن ليل نيل القاهرة يحمل لي بعضًا من الأحلام، وليك بلا أحلام. وراح يتأمل القوارب في نهر التيميز، وعجلة عين لندن المبهرة، ولفت رأسه وراح يتخبط، ثم يحدث نفسه إن كانت داليا متزوجة، فلماذا أخفت عنه هذا الأمر؟

لا ليست متزوجة ولكنها جاءت إلى لندن مع ثري عربي جاء وزوجته وأولاده، واتخذ داليا خليله له يقضى معها سويغات مقابل أن تلبس وتتنزه وتعيش أياماً مبهجة في مدينة الضباب... لكن هذا الخاطر طار من ذهنه إلى خواطر أخرى.

ارتدى هشام ملابس مرة أخرى، خرج من غرفته، راح يتأمل جدران فندق سافوى بمعالمه الأثرية، فقد بُني الفندق عام ١٨٨٩ في موقعه المتميز على نهر التيميز، بالقرب من منطقة "ويست إند" حيث المسارح الكبيرة والأضواء التي لا تغيب طوال الليل، خرج من الفندق، لفحته نسمة هواء منعشة، توقف أمام مطعم سيمبسون، امتلأت أنفه برائحة شواء اللحم، دخل إلى المطعم، متأملاً غرف الطعام المكسية جدرانها بالخشب، لكنه ما لبث أن عاد إلى الفندق ماراً بالأجنحة التي أقام فيها مشاهير العالم.. ففي هذا الجناح أقام أوسكار وايلد، وفي ذاك الجناح نزل سومرست موم، وهنا كان يرتع إميل زولا في النعيم، أما فاي ويلدون عميدة الأدب البريطاني، فقد ظلت ثلاثة أشهر في جناحها تأكل وتشرب وتكتب وتنام مجاناً، عبر برنامج أطلقه فندق سافوى عام ٢٠٠٢ ليحيى الروابط التاريخية مع أهل الأدب، وبلغت تكلفة إقامتها سبعمائة دولار في الليلة الواحدة.

ثم ذهب إلى حجرته وقال ساخرًا وهو يفتح الباب :

- وفي هذا السويت نزل الصحفي المصري الشهير هشام عبد الحميد على حساب عبد الكريم ناصيف في برنامج لإحياء الروابط التاريخية بين المصريين في قاع البحار...!!

أبى النوم أن يراوده على السرير فحمل مرتبته بملاءتها البيضاء ووسائدها ووضعها على أرض الغرفة، ثم استلقى على ظهره، ولما هذه التعب استغرق في النوم، حتى صحا على هاتف طارق يوقظه ويعجّله لأن الوقت قد تأخر عن الموعد.

أخذ حمامًا دافئًا ثم ارتدى بدلته السوداء والكرافت الأنيق، هبط إلى مطعم الفندق، تناول الإفطار معهما، أخرج ورقة الأسئلة التي أعدها في القاهرة، ومثله فعل طارق، نظر رئيس التحرير في الورقتين، ونظر لهما قائلاً: شخصية بهذا الحجم وكل هذا الضجيج المثار حولها لا تحتاج لأسئلة، سوف نطرح عليه أسئلة الشارع المصري...!!

بعد تناول الإفطار نهض ثلاثتهم، تقدم رئيس التحرير متحدّثًا في هاتفه المحمول، بينما مال طارق على هشام راجيًا إياه ألا يخبر رئيس التحرير بالحديث الذي دار بينهما أمس، نظر له هشام بخبث:

- عيب يا طارق.

ثم استقلوا سيارة خاصة لتحملهم إلى عبد الكريم ناصيف، علق هشام على السائق الإنجليزي قائلاً:

- أرجو ألا يعرف أننا مصريون.

فقال له رئيس التحرير ضاحكًا: لماذا؟!

- حتى لا يحول السيارة إلى عبّارة ويقتلنا، لأنه يبدو أن عبد الكريم ناصيف لا يحب المصريين...!!

نظر رئيس التحرير وطارق إلى هشام مستخفين قوله، وأعينهما كلها قلق أن يتفوّه بما يضايق المضيف،

أحس هشام بثقل ظله، فراح ينظر إلى شوارع لندن في هذا الصباح الباكر. أخذت هشام تلك الصباحات اللندنية المثيرة للبهجة إلى التأمل في ذلك الإنسان العربي الذي حملته المدينة إلى السهر حتى الصباح أمام وسائل التكنولوجيا المتطورة، حتى إذا جاء الصباح تمطع ذاهباً إلى عمله في ملل، وكأن الشيء الرئيسي في الحياة هو السهر، أما العمل فهو شيء زائد عن الحد وغير مقبول، بل وغير معقول.

أخذه هذا الصباح إلى إشراقة مبهجة وإقبال على الحياة حين شاهد الإنجليز في أبهة وسعادة، وهم ذاهبون إلى عملهم متأنقين، ففي هذا التوقيت من العام في مايو، تبدو لندن كساحرة تخطف بعينيها كل من يقترب عن عالمها الغامض والمثير لكنه أحنى رأسه فأى بهجة لرجل يعرف مقدماً أنه غارق في الوحل، وها هو قد خطا خطواته الأولى في الوحل، متذكراً صديقه الصعيدي، متنهذاً بألم، قائلاً مع نفسه :

- فينك يا عدنان !!

هذه إذن لندن.. ها هي أحلامك يا ابن عبد الحميد في غزو أوروبا
تتحقق، ستنام شقراء على ذراعك اليمنى وأخرى على ذراعك
اليسرى، ستكون لك غزوات وصولات وجولات في ليل لندن، لن
تترك امرأة إلا وتضاجعها، هن حرت لنا...!!

راح هشام يخاطب نفسه، بينما تمر أمام عينيه العشرات من نساء
لندن في أنافتهن المعهودة، ذلك اللقاء المصيري المنتظر متناسياً
الوحد الذي ذهب إليه، مقررًا شيئاً واحداً، حمل روحه إلى الاستمتاع
بليل لندن ونهارها والبقاء فيه عدة أيام منفرداً وبعيداً عن مرافقيه،
ولم ينتبه هشام أن السيارة توقفت والباب فتح حتى دفعه طارق في
كتفه، هبطوا منها واتجهوا إلى داخل شقة واسعة تشبه القصور
الخاصة بالملوك والأمراء في فرشها الثمين وجدرانها المزدانة
بلوحات عالمية، والأنتيك الذي يملأ كل ركن تطل عليه عينا هشام،
وبعد أن أجلستهم الخادمة، وبعد دقائق خمس قدم إليهما عبد الكريم
ناصيف تسبقه رائحة عطره التي ملأت المكان، رحب بهما بالاسم،
استقبلهم بحميمية كمن يعرفهم منذ زمن طويل، وبعد أن قام بواجب
الضيافة معهم اقترح رئيس التحرير بدء الحوار، طلب ناصيف
الإطلاع على الأسئلة، وكان هشام يعرف أن هذا مبدأ مرفوض لجميع
محرري "الصوت الحر"، لكن اندهاشه غاب ورئيس التحرير يعرض

عليه الأسئلة، وناصيف يحذف منها ويضيف إليها ما يشاء، أدرك هشام أن الموضوع في أبسط وأعقد صورته لا يعد كونه صفقة دنسة، ودارت بذهنه عدة تساؤلات، لكن السؤال الوحيد الذي لم يستطع الإجابة عليه، لماذا هو هنا.. وما علاقته بهذه الصفقة.. وما الدور الذي سوف يلعبه؟!

لكن لا أحد يستطيع أن يجيبه عن هذه التساؤلات سوى رئيس التحرير، وهشام لا يستطيع أن يطرحها عليه.

ظلتا عيناها ربع الساعة تتأمل ما يحدث أمامه، لكنه شارد الذهن، حتى انتهى ناصيف من وضع الصياغة النهائية لهذا الحوار، وعلق ساخراً على سؤال بعينه خطته أنامله: ماذا لو كان لك ابن في العبارة.. كيف سيكون حالك؟ علق بقوله مبتسماً: هذا السؤال سيسخن الحوار ويجذب القارئ إليه، ورئيس التحرير يؤمن على كلامه في بهجة الجالسين إلى أحد الخلفاء الراشدين، يتقبلون نصائحه ولا يناقشونه في كلامه.

ودارت بكرات الكاسيت لساعة ونصف الساعة، قدمت خلالها العديد من المشروعات، ولم يسأل هشام سوى سؤال واحد: هناك تقارير أكدت علمك بأن العبارة تغرق، قبل غرقها بساعتين، ولكنك لم تفعل شيئاً سوى جمع ملابسك والسفر إلى لندن.. ألا ترى هذه نذالة؟!

تكهرب الجو، نظرت عينا رئيس التحرير إلى هشام؛ يطل منهما الشرر، أراد أن ينهض ويصفع هشام، فبعد أن ارتخت أسارير عبد الكريم ناصيف عبر السؤال عن لو كان ابنه في العبارة، وإجابته بأنه

يحس بأن جميع من ماتوا أبناؤه، وأن قلبه محروق كأب مصري على كل شباب مصر الذين ماتوا في العبارة، وبعد إحساسه بأن هذه الإجابة ستهدأ من ثورة الشعب المصري عليه حين تنشرها الجريدة ليس لوقع الكلام فقط، ولكن لمصادقية الجريدة في الشارع وثقة الناس فيها لأنها تعبر عن قضاياهم، ابتسم ناصيف، لكنه لم يستطع أن يخفى غضبه ونظر في عيني هشام طويلاً قبل أن يقول:

- هذه التقارير مزيفة ومزورة من قبل خصوم لي يريدون الاستيلاء على مشروعاتي في مصر، ثم إنني لم أسافر إلا بعد غرق العبارة، ليس هرباً ولكن لأن أحد مشروعاتي في لندن يتعرض لورطة كبيرة، وكان يجب أن أسافر لأخلصه منها.

لم يصمت هشام، بل قاطعه:

- سافرت بعد غرق العبارة بثمانى ساعات لأنه لم يكن هناك رحلات طيران إلى لندن إلا بعد هذه الساعات..؟

طلب رئيس التحرير من هشام الصمت، نظر إلى ناصيف وهو يقول:

- هشام يسأل هذه الأسئلة لكي نخرج بماتشيتات تجذب القراء.

لكن ناصيف قاطعه وهو ينظر إلى هشام قائلاً:

- لا تجعلني أشعر بالندم لأني طلبت حضورك يا أستاذ هشام.

دهش هشام وظل يحدق لدقائق قبل أن يطلب تفسيراً، لكن لم يقدم له أحد تفسيراً.

وفى نهاية اللقاء اصطحب ناصيف رئيس التحرير إلى غرفة أخرى وهو يقول له:

- لا أعرف سر عدم قبولكم تحويلات أو شيكات هذه الأيام.
وبعد دقائق نادى الحارس الذي دخل إلى مكتب ناصيف تلقى أمراً ثم خرج، وخرج الاثنان إلى هشام وطارق، وطلب منهما ناصيف الانتقال إلى غرفة أخرى للتحديث في البيزنس، نهض معهم هشام وإحساسه بأنه في حضرة مشهد في فيلم أمريكي لعصابات المافيا لا يفارقه، جلس الجميع على مائدة الاجتماعات المستديرة، على رأسها عبد الكريم ناصيف محاولاً شرح فكرته، التي يبدو أن رئيس التحرير على علم مسبق بها قائلاً:

- أريد أن يكون لي صوت وسند قوي لي في مصر، ولن يحدث هذا إلا من خلال الإعلام، بأن تكون لي صحيفة يومية مستقلة، وسأوفر لها كل الإمكانيات اللازمة بأن أجعل رأس مالها خمسين مليون جنيه، وأخصص لها مبنى في المهندسين من طوابق عشرة، أريدها الجارديان البريطانية أو يزيد، لتنمو وتكبر وتكون منها مؤسسة مثل مؤسسة مردوخ بلندن، تنافس بإمكانيات قوية، وسأأخذ صحفياً دورات في كبريات المؤسسات في لندن، وأوفر لكل صحفي راتباً يفوق راتب أي مؤسسة صحفية في مصر، وسأستقطب إليها خريجي كلية الإعلام وأقسام الصحافة الجدد.
قاطعه هشام ضاحكاً:

- سوف تفشل بالثلاثة يا عبد الكريم بك.
بهذوء وصمت أصحاب راس المال الواثقين أنهم يملكون العالم كله طالما يملكون المال، قال ناصيف : لماذا ؟!

- لأن اسمك لو وضع على الكعبة المشرفة لن يذهب أحد ليحج

إليها.. فما بالك باسمك على صحيفة..!!؟

رفع عبد الكريم ناصيف يديه من على أوراق خطته وقال ضاحكاً:

- لا تزال يا أستاذ هشام شاب في مقتبل العمر قليل الخبرة، فلن أضع اسمي على الجريدة، ولن تكون لي علاقة بها من قريب أو بعيد سوى ضخ المال، وبالتأكيد سيعرف العديد أنني وراء هذه المؤسسة لكن لن يستطيع أحد إثبات ذلك، هناك من أثق فيه سيتولى إدارة المؤسسة.

علق هشام:

- ورئيس التحرير؟

فباغته ناصيف:

- ستكون أنت رئيس التحرير، وطارق مدير التحرير.

صمت هشام، وكاد يفهم قواعد اللعبة فحول دهشته إلى سؤال:

- وماذا عن رئيس تحريرنا؟!

نظر إلى رئيس التحرير، فباغته ناصيف:

- هو الذي سيدير المؤسسة من الباطن حتى تقف على رجليها دون أن يعرف أحد ذلك، سوف يمر في نهاية عمله وبعد طباعة "الصوت الحر" ليطمئن على سير العمل ويشاركك همومك لنجاح الصحيفة حتى يتقرر موعد الصدور، وتنتهي كل التصاريح اللازمة، والتي سوف أكلف أحد مستشاريّ بإنائها في أسرع وقت.

- والأجر؟.. قال هشام

فباغته ناصيف بالعرض الذي لا يرفض:

- ٥٠ ألف جنيه في الشهر.

صمت هشام، لم يستطع أن يجيب بلا أو نعم، طلب الاستئذان، نظر
رئيس التحرير وعبد الكريم ناصيف إلى بعضهما البعض، نظرة تعنى
وقوع الصيد في الشبكة.

قرر هشام أن يعبر شوارع لندن على قدميه، وأن يستغنى عن سائق ناصيف، وذهنه مليء بالتساؤلات عن الأسباب التي جاءت به إلى هنا، وعما يريدونه منه، وهل سيرجع سالمًا إلى مصر أم سيُقتل برصاصة طائشة مجهولة المصدر على أسفلت لندن الذي يميل كثيرًا إلى جثث العرب...!!

عشرات التساؤلات راحت تمر بذهنه، وهو يتأمل الناس والشوارع وواجهات المحال، وبعد أن هدّه المشي استقل تاكسي إلى الفندق، غير ملابسه، حاول أن يخلد إلى النوم، لكن هاتفه داليا كان يعزّمه على غداء لندني، وكأنه وجد نفسه نسي كل شيء، أخذ حمامًا ساخنًا وارتدى ملابسه متأنقًا أمام المرأة، ووقف أمام الفندق ينتظرها وهو يردد: إن أفضل حالة للهروب من الموت مواجهته دون خوف.

مرت عليه في سيارة أجرتها لترافقهما.. طلبت من السائق أن يقلّهما إلى قلعة هيفر، وقالت له إنها القلعة التي أقامت فيها زوجة هنري الثامن، وأثناء تأمل القلعة من الداخل امتدت أصابع يده اليمنى لتلامس أصابع يدها اليسرى التي ارتعشت قليلاً ثم ما لبثت أن ارتخت. وبعد ذلك أخذته إلى المتحف العسكري الوطني ليرى كيفية إدارة الجنرالات لشؤون الجيش البريطاني، وشاهدوا القطع الأثرية النادرة، وراح هشام يتأمل القطع التي تركها الضابط برونكو - أول

من تسلق قمة إيفرست - وقال متنهذاً وهو ينظر في عينيّ داليا:
- حالي الآن مثل هذا الضابط أحاول أن أتسلق قمة ما لكني لا أرى
لها نهاية.

ولما سألته عن تفسير؛ لم يفسر ولكنه طلب منها الذهاب لمكان فيه
أميرات ليؤكد لها أنها الأجمل بين جميع نساء العالم.
أخذته إلى قصر بانكجهام، وكان من حسن حظهما مفتوحاً لاستقبال
الزوار، والتجول في قاعة الملكة، حيث شاهدا عرضاً للمجوهرات
النفيسة، وفي قصر كينغتون شاهدا فساتين الأميرة ديانا، أما في قلعة
ويندسور فراحا يتأملان الدُمي التي أهديت للملكة ماري، وهشام
مندهب من هذه الحياة التي عاشها هؤلاء الناس في إمبراطورية
أرعبت العالم كله، بينما هم يعيشون في بهجة وأبهة وكأن الذين
يغزون بلاد العالم أناس آخرين.

قررا الحصول على استراحة، فذهبا إلى الغداء في أحد المطاعم
الصينية في سوهو، لم ينجح هشام في أن يأكل بالعصائتين اللتين
يؤكل بهما، فاستأذنها في استخدام الشوكة والسكين.
أثناء الأكل سألته داليا عن سر قدومه لندن أهو للقاء عبد الكريم
ناصيف فعلاً؟، فأخبرها أنه لا يريد أن يتذكر ما حدث، ثم حكى لها كل
ما مرّ به.

صمتت داليا دقائق بعد استماعها للعرض المقدم له، ثم ألحت عليه
في الموافقة، وراحت تحكي له عن أسماء يكن لها هشام قداسة ما
بعدها قداسة في بلاط صاحبة الجلالة، تركع أمام الأميرة هناء وتأخذ

حقيبة ممتلئة آخر الليل، وفي كل احتفالات تدعى إليه تلك الشخصيات تحمل بالكثير، ثم راحت تحكي لهشام قصتها مع الأميرة هناء، وكيف أنها على الرغم من العمل معها، إلا أنها لا تكن لها ذرة حب واحدة، لأنها سيدة اعتادت إهانة كل ما هو مصري، ولو كان بيدها أن تضيع تاريخ مصر، وتنسف أهراماتها العظيمة نسفاً لفعلت، بل لو وجدت فرصة لصعدت فوق سطح الهيلتون وتبولت على كل المصريين، وداليا نفسها لا تعرف سبباً لذلك الكره، رغم أن مصر هي التي فتحت أبوابها، حين أوصدت كل الدول العربية الأبواب في وجهها، ولم يتحمل أحد إقامتها وأسرتها وخدمها وحشمها.

سرح هشام طويلاً في حديثها ووعداها - حسب مطلبها - أن يفكر في هذا العرض المقدم له لأنه سيحقق له نقلة أخرى في حياته. نظر هشام في عينيها طويلاً قبل أن يقول لها:

- ولو لم أقبل هذا العرض وعشت فقيراً كما أنا ألا تقبلين أن تكملين حياتك معي؟!

وضعت داليا يدها فوق يده، وعيناها تخبره قبل لسانها أنها على استعداد لأن تعيش معه فوق سطح عمارة من عمارات بولاق.

وبعد أن تناولوا الشاي الصيني طلب منها أن يذهباً غداً لشراء بعض الملابس، لأنه بحاجة إليها ولوالدته أيضاً وعاداً معاً حيث نزل هشام أمام الفندق، وذهبت داليا مع السائق، وما إن دخل إلى استقبال الفندق حتى وجد طارق في انتظاره يخبره بقلقه ورئيس التحرير عليه، ويسأله أين كان؟ فأخبره أنه ذهب للغداء والتمشي في شوارع

لندن، ثم أخذه طارق من يده وصعدا إلى غرفة رئيس التحرير، دون أن يهاتفه ويخبره بقدومهما إليه.

عاتب رئيس التحرير هشام عتاباً رقيقاً عن حبه له وأوضح له كيف أنه يعتبره أخاه الأصغر، وأن الفرصة تأتّب للإنسان مرة واحدة، وسأل هشام : أنت بتصيف فين ؟!

اندهش هشام بداية، ثم أخبره أنه لا يذهب إلى مصيف فهو أعلم الناس بمدى حاجته، فقال له رئيس التحرير :

- هذا أبسط شيء، فلو قبلت هذا العقد سوف تصيف كل عام في أوروبا، وتكون لك شقة ملكك في لندن "وشاليه" في مارينا وآخر في العين السخنة بالإضافة إلى فيلا في القاهرة.

فقال هشام إنه سيعاود التفكير في العرض شريطة أن يجيبه بصراحة خاصة أن اللعب أصبح على المكشوف، ولا داع للمدارة: لماذا تم اختياره بالذات لهذه المهمة ؟

أخبره رئيس التحرير بعد أن أطفأ السيجار الذي يمسكه بين أصابعه في المنفضة، ولاحظ هشام أنه لم يكن يدخن "سيجار" قبل ذلك، وكان يشرب سجائر عادية، كما أن هذا السيجار هو النوع نفسه الذي يستخدمه عبد الكريم ناصيف (COHIBA) ثم قال :

- لأنني بحبك، ولديك موهبة حقيقية لا أريد لها أن تموت في البحث عن المال طوال الوقت، وأنت لم تتورط ذات يوم في الدفاع عن مسؤول في الحكومة أو نفاق أحد، حتى حين فتحنا صفحة الرأي لكتاب الجريدة، وكتبت مقالك الأسبوعي وجدنا أنه المقال الأكثر

تعليقًا من قبل القراء على الإنترنت، وما من مسئول التقية إلا وأشاد بأسلوبك الشيق والمتزن في الكتابة، الكاشف عن موهبة حقيقية، ولعلمك كنت أخفي عنك عشرات الخطابات البريدية التي تأتي إلينا من أشخاص يطالبون التعرف إليك، ولعلك كنت تلاحظ عقدنا ندوات للعديد من الوزراء على رأسهم رئيس الوزراء نفسه الذي أكد أن أول ما يبدأ في قراءته في صحيفتنا، قبل أخبار مجلس وزرائه، هو مقالك، رغم أن أغلب مقالاتك موجهة ضده وضد حكومته على الدوام لكنها كتابات بلا مصلحة، لوجه الوطن والحقيقة، والأهم من هذا كله أن عبداً لكريم ناصيف هو نفسه الذي رشحك لتولي رئاسة تحرير جريدته.

أبدى هشام اندهاشه ولم يصدق كلامه، فقال رئيس التحرير: أعرف أنك لن تصدق لأنه أكثر شخص هاجمته في مقالاتك، ولعل حملتك الشعواء ضده هي السر في انقلاب الرأي العام عليه وإدانته رغم أنه لم يكن قائد العبارة، ولم يكن له علاقة بتوجيهها، هو فقط مالكها، ووجد ناصيف أن أغلب المقالات المكتوبة ضده موجهة من قبل رجال أعمال يهتمهم ألا يكون موجوداً بالبيزنس الخاص به، وأنت الوحيد الذي كتبت لوجه هذا الوطن.

- وماذا ستستفيد أنت من هذا؟

سأله هشام، فعلق:

- ولا حاجة، أنت تعرف أنني لا أبحث عن شيء، فأنا والحمد لله رئيس أهم صحيفة في مصر، ولكنني أحاول الوقوف بجوارك، ومن

يعلم فمن الممكن أن أجيء وأعمل معك، أنت تعرف أن رئيس مجلس إدارة الصوت الحر متقلب المزاج.

- وكم سيكون مرتبك في جريدة عبد الكريم ناصيف..؟
- مرتب عادي جدًا.

نظر له هشام نظرة توحى بأنه يعرف أنه يكذب عليه، وأن مرتبه سوف يتجاوز المليون جنيه.

ثم أكمل رئيس التحرير:

- صدقني أنا أحاول الوقوف بجوارك حتى تقف الجريدة على قدميها حيث سأعمل من الباطن لمدة ستة أشهر أعاونك فيها، وسيكون طارق مديرًا للتحرير معك، وصدقني يا هشام سوف تكون هذه الجريدة أهم من جريدة "الصوت الحر" لأننا سننفذها طبقًا للمدارس المتقدمة في الصحافة الأمريكية من حيث إخراج الموضوعات وطريقة التناول، كما أنني أعتقد أن عبد الكريم ناصيف سيحكم له بالبراءة.

علق هشام ساخرًا: براءة من جثة ألف مصري..!!

- لا ذنب لعبد الكريم في ذلك.. ثم هناك من يدير اللعبة وهو أكبر مني ومنك.

- وماذا سيفعل هذا الكبير وتقارير لجنة الحقائق وهيئة السلامة البحرية والطب الشرعي وتحقيقات النيابة كلها ضده..

- يبدو أنك تعيش في المدينة الفاضلة.. عبد الكريم ناصيف أكبر مما تتخيل.

وعده هشام بالتفكير في الأمر متذكراً كلام داليا حتى يضمن العودة إلى مصر سالمًا.

لا يحب هشام رائحة السجائر، لكنه وجد نفسه يشتري علبيّ سجائر ويجلس في حجرته حتى الصباح مدخنًا إياهما، يفكر في الأمر الذي أرهقه طويلاً، عاجزاً عن اتخاذ قرار، تلوح أمام عينيه صورة بسطاء الناس الذين يصرخون في عرض البحر بحثًا عن منقذ، وتسحبهم المياه رويداً رويداً لتستمتع الحيتان وأسماك القرش بعشاء شهى، وبين الحيتان الذين يطالبونه الآن أن يسكن بيوتهم وينام على فراشهم، يأكل أكلهم ويعيش عيشتهم، متذكراً توفيره لعشرات الفرص للأجيال الجديدة إن قبل رئاسة تحرير جريدة عبد الكريم ناصيف، متسانلاً بينه وبين نفسه، سؤال لم يستطع الإجابة عنه:

- هل الكاتب مسؤول عما يكتب، أم عن المكان الذي يكتب فيه !!؟

ثم سأل نفسه سؤالاً كان حاسماً بالنسبة له:

- إذا كان هذا المنصب عُرض على مجدي مهنا هل كان يقبله..!!؟

"مساء لندني معبق برائحة الحب وبهجة العشاق.."

هكذا ذهب هشام في نزهة حب وليس في نزهة تسوق، فقد أخذته داليا إلى السيلفريدج وبوند ستريت وسلون ستريت، وحمل العديد من الملابس، ثم وجد نفسه في بهو فرعوني صعد طوابقه الأربعة واجداً نفرتيتي وحتشبسوت ورمسيس، وهنا أخبرته داليا:

- هذه يا سيدي قلعة محمد الفايد هارودز، لكننا سنشاهد فقط، لأنك

لو قررت الشراء من هنا سوف تدفع كل ما تملك في حذاء...!!

راح هشام يمد يده لجماليات لندن اللواتي يقفن في هارودز يحملن عينات العطور ليشم الرائحة على يده ثم يدخل ويشترى، وكان هشام يشم الرائحة فقط، واستأذن من إحداهن أن تريه هذه الزجاجة التي في يدها، ورش منها على جسمه ضاحكاً ثم ودعها وهارودز.

وذهب إلى شارع أكسفورد ستريت حيث وجد عدة ماركات وبسرر رخيص فأبهجه ذلك، ثم ذهب إلى سوق شبرد بوش وسوق الأحد لشراء هدايا رخيصة لعذنان وشادي.

وضعا حاجتهما في السيارة، وذهبوا إلى شارع آبر بيركلي ستريت حيث تناولا العشاء لحماً مذبوحاً على الطريقة الإسلامية في مطعم الوادي الأخضر، وأصر هشام على دفع الحساب، ودفع بالفيزا كارت الخاصة به، واعتذر لداليا على إزعاجها فتضايقت، ثم طلبت منه

العودة إلى الفندق لأنها تعد له مفاجأة، وأمام باب الفندق نادى السائق على أحد عمال الفندق وأعطاه الحقائب الخاصة بهشام، ودس فيها حقيبة إضافية، وطلب منه وضعها في حجرة هشام عبد الحميد، حيث أعطاه هشام رقم الحجرة، وتحرك السائق كمن يعرف وجهته جيداً، وهشام يحاول أن يستفسر عن المفاجأة وداليا لا تجيبه حتى وجد نفسه فجأة يشاهد العرض المسرحي "ماماميا" .. تلك المرأة التي ضاجعت ذات ليلة ثلاثة رجال عابري سبيل، وحملت وأنجبت بنتاً كبرت وتريد الزواج ووجهت الدعوة للرجال الثلاثة؛ في محاولة منها لمعرفة أبيها، الذي تستطيع التوصل إليه في نهاية العرض.

ظل هشام طوال العرض ممسكاً بيد داليا مستمعاً بهذا شاكراً لها على تلك الجرعة الفنية، وحين أوصلته إلى الفندق، وقبل أن يهبط قبلته في خديه ففرح كثيراً، ولم يستطع النوم من فرط سعادته، فراح يرتب أشياءه، اكتشف الحقيبة الصغيرة التي لم يشتريها، فتحها ليجد بها ساعة ماركة "مونت بلانك" رائعة الجمال يتجاوز سعرها الأربعين ألف جنيه مصري، ومعها ورقة صغيرة مكتوبة بالإنجليزية:

"لا شيء في الحياة نملكه يساوى لحظة حب صادقة، أتمنى أن أمنحك عمري كله، لكن العمر لا يساوى تلك اللحظة الرائعة" والتوقيع "D" ..

هاتفها مبتهجاً ثم معتذراً عن قبول الهدية، فأقسمت أنها لن تراه مرة أخرى طيلة حياتها إن لم يقبل هديتها، لكنه أخبرها أنه لا يمتلك منحها هدية مثلاً، فأخبرته أنها أخذت هديتها منه، حبه الصادق وقلبه النبيل ومشاعره الطيبة.

طرقَ على الباب جعله ينهى المكالمة معها واعدًا إياها باللقاء منذ الصباح غدًا، وسارع بإخفاء حاجياته في الدولاب، فتح ليجد رئيس التحرير في مواجهته مندهشًا لغيابه، ثم يطلب منه أن يعزمه على شاي أخضر، وجلسا في شرفة غرفة هشام يتحدثان عن الصحافة والسياسة ومصر، ثم انتقل رئيس التحرير من خلال هذا الحديث إلى عبد الكريم ناصيف، وأن قضية العبارة سيتم الحكم فيها بعد شهر، وستظهر الحقائق واضحة ببراءة عبد الكريم ناصيف وأن الرجل يطلب منا تناول الغداء معه غدًا في الثالثة ظهرًا، ولا يصح أن نرفض ضيافته. وأمام ضغط رئيس التحرير وافق هشام. وبعد أن ذهب رئيس التحرير، هاتف داليا طالبًا منها أن يلتقيها في الصباح الباكر وشرح لها الأمر.

نام هشام ليلته أكثر راحة، تناول فطوره مبكرًا وانتظر داليا كالعادة أمام باب الفندق لتخبره بأنها أعدت له اليوم برنامجًا جيدًا، فأخبرها أنه لم يبهره شيء في لندن وفي الحياة عمومًا، إزاء انبهاره بوجودها بجواره.

ذهبا إلى ضفاف نهر التيمز وانتظرا الصعود في عجلة "لندن أي" وشاهدا أثناء انتظارهما خمسين صورة لأروع المشاهد الجوية لمناظر مختلفة في بريطانيا، ثم صعدا في عجلة "لندن أي" ليشاهدا مدينة لندن المدهشة ومبانيها العتيقة وساعة بيج بن ومبنى البرلمان، ثم اتجها إلى حدائق هايد بارك حيث جلسا على البحيرة يتأملان البط السابح في هدوء وأمان، ولكم تمنى هشام أن تمنحه

أمان البط هذا، ثم راح يضع يده على كتف داليا ثم يمررها عبر شعرها ويأخذها إلى صدره في حنان، حتى حان موعد ذهابه إلى الغداء، فعاد إلى الفندق وغير ملابسه، ارتدى بذلة سوداء دون رابطة عنق، ثم ذهب إلى غرفة طارق واصطحبه لغرفة رئيس التحرير وهبطوا ليجدوا سيارة عبد الكريم ناصيف في انتظارهم حيث حملهم السائق إلى أحد مطاعم "الادجوارود"، وهو الشارع الذي يكتظ بالعرب، وذلك ليثبت إليهم حنينه إلى مصر وحبه فيها، وأنه وإن كان بعيداً عنها فإنه يشتم رائحتها من المصريين والعرب القادمين إليها عبر هذا الشارع، وتناول معهم الغداء مرحباً بهم، دون أن يتحدث عن مشروع جريدته، ثم دخن الجميع الشيشة بمن فيهم هشام، وأثناء ذهابهم شد ناصيف على يد هشام بيديه، وطلب منه التفكير في عرضه، لأنه لا يأتمن أحداً على مؤسسته التي ستصدر هذه الصحيفة وعدة قنوات تليفزيونية سوى صحفي صاحب قلم شريف مثله.

شكره هشام، وكرر بينه وبين نفسه كيف يتحدث شخص مثل هذا عن الشرف، وهو يكتسب فلوسه دون شرف، ويلقي بالناس في البحر دون أن يهتم حتى بصيانة عباراته!!

أثناء عودتهم إلى الفندق أخبرهم رئيس التحرير إن كان أحد منهما يريد شراء هدايا فسوف يذهبون اليوم في نزهة تسوق فاعتذر هشام. أخبره رئيس التحرير بضيق الوقت لأنهم سوف يسافرون في الثالثة صباح الغد.

بعد أن تركهما هشام وعاد إلى الفندق وجد رسالة صوتية من داليا تطلب الاتصال بها حين عودته، واتصل بها لكن هاتفها كان مغلقاً، فنزع ملابسه وارتنى ببيجامته، وأخرج عدة أوراق بيضاء وقلماً وأخذ يشخبط عليها مستعرضاً شريط حياته، ليكتشف أنه لم يغضب الله مرة واحدة في حياته سوى في علاقته مع النساء، وأن هذه نقطة الضعف الوحيدة في حياته، واندش كيف لم يذهب إلى سوهو ويشاهد عرض استريبتيز أو يجلب واحدة من هناك، أو حتى يميل إلى الدليل المنشور في العديد من الصحف بصور العاهرات وأرقام هواتفهن وسعر كل واحدة منهن، ويتصل بإحداهن لتأتى إليه، هل السبب في ذلك همه المتواصل وتفكيره الدائم في العرض المعروض عليه، لكنه كان يهرب دائماً من مشكلاته بالغرق في الجنس:

- إنها داليا...

صرخ هشام متأملاً كل قطعة في جسدها وروعته وأنوثتها الطاغية، متمنياً أن تكون زوجته، ويختم تلك الحياة النسائية الضائعة التي عاشها.. لكن كيف يتزوج من امرأة اعتادت معيشة القصور والفنادق، وهو يعيش حياة الصعاليك والمشردين؟! كانت هذه هي المأساة الجديدة التي بدأت تستولي على تفكير هشام وتسرق النوم من عينه.

اشتكى هشام لداليا آلامه، وكيف أنه لا يستطيع التحرك من السرير، ولم ينم إلا في السادسة صباحًا، وما هي إلا نصف الساعة حتى كانت داليا في حجرته بالفندق ومعها طبيب، كتب له على عدة مهدئات ووصف حالته بأنها أرق وقلق وإجهاد بسبب التفكير الطويل.

جاء السائق الإنجليزي الذي استأجرته داليا بالعلاج، ثم أغلق عليهما الحجرة وخرج، أمسكت داليا بيد هشام ثم جاءت بكوب من الماء لتتاولة العلاج، وأسندته على ذراعها حتى يستطيع الجلوس فلامس نهدها ذراعه، فأصيب الاثنان بقشعريرة، ثم شرب الماء وشكرها، فأراحت رأسه على الوسادة، ومال شعرها على وجهه، فاشتم رائحتها الطيبة، احتضنها بذراعيه وضمها إليه، استجابت مترددة له، أخذ يقبل شفتيها رويدًا رويدًا، ذابا في بعضهما، أنامها بجواره على السرير، ثم وضعها على وسادته.. وراح يتحسس ويقبل جسدها بينما هي في عالم آخر من العشق.

وبعد دقائق جلس باكيًا على الأرض وهي جالسة فوق السرير، حكّت له قصة زوج أمها وأقسمت أنها لا تكذب عليه، وكيف أنها لم يمسهما بشر سواه، فقد أغلقت محارة جسدها عليها من وقتها، وكرهت الجنس وكل ما له علاقة به، حتى وجدته فأحست أنه رجل مختلف

عن غيره من الرجال، ثم ارتدت ملابسها وتركته غارقاً في دموعه،
ثم قالت قبل أن تخرج من باب غرفته:

- تذكر أني لم أطلب منك وعداً، ولن أطلب منك أن تتزوجني.. فقط
امسح هذه الصفحة من حياتك.

حاول هشام أن ينسى فلم يستطع أن يعيش الساعات الباقية له في
لندن دون أن يتذكرها؛ لم يستطع.. حاول الاتصال بها لم يستطع،
وما إن صعد إلى الطائرة المتجهة إلى القاهرة حتى شعر أنه يترك
في لندن جزءاً منه، جزءاً لا يستطيع الحياة بدونه..
وفي هذه اللحظة أدرك أنه يحبها ولا يستطيع الحياة دونها.

لم يختار هشام أن تكون حياته بائسة مثل جان، فالجان بطل رواية
فيكتور هوجو "البؤساء".. فكلمنا تخلص من مشكلة ما تلبث أن تظهر
له أخرى ليعيش حياة كلها سواد وألم، فراح يفكر ماذا لو قبل
العرض المقدم له وأصبح نجماً تليفزيونياً تسعى الفضائيات إلى كسب
وده والتقرب منه؟!

وراح يتساءل عن الجبر والاختيار في حياة بني البشر، وهل
باستطاعة الإنسان أن يختار حياته وفق إرادته، أم أن هذه الحياة قدر
مقدور، والإنسان مقاد إلى ما خطته يد القدر وجف عليه القلم، ولن
يستطيع تغيير مجراه في نهر الحياة مهما اجتهد..؟

يحاول هشام أن يثبت أمام نفسه مخادعاً أن الحياة كتبت له ترأس
تحرير صحيفة بأموال عبّارة عبد الكريم ناصيف، لكن نفسه لا
تطاوله على التصديق، يحاول أن يتذكر قدوته في الصحافة مجدي

مهنًا، ويقرر أن لا يبيع، لكنه لا يستطيع أن ينس الأمر، والشواكيش في رأسه تأبى الصمت..

وهنا قرر أن ينسى بطريقته المعتادة؛ البحث عن نساء.. لكن بعد داليا هل هناك نساء تُضاجع أو حتى تستحق الإنسان أن يبتسم في وجهها.. بعد كل البهجة التي منحها له حضنها، وبعد كل الأمان والشبق اللذين أحسهما بين ذراعيها.. هل توجد امرأة في الوجود تمنحه أحاسيس داليا؟!!

داليا إذن هي المشكلة، هكذا طفت فوق تفكيره وغطت عليه، فقرر أن ينساها، وقد تعلم قبل ذلك أن الرجل لا يستطيع أن ينسى امرأة إلا بامرأة أخرى.

وضع هشام حقائبه في البيت، لم يجد أمه حيث ذهبت لزيارة أخته، أخذ حمامًا سريعًا، هاتف شادي وعدنان لكن هواتفهما مغلقة، فلم يجد أمامه إلا رامي الذي واعدته على اللقاء في بداية المساء.

حاول هشام - رغم كل بذاءاته - أن يمنع رامي من فعلته، لكن لأشياء يحول دون أن يفعل رامي ما يريد، ورغم كل حجج الإقناع التي ساقها هشام إلا أن رامي أصر على رمي إنسان بريء في غياهب السجن، دون حتى أن يسأله عن ذنبه، ولكنها توصية من فتاة ليل أرادت الانتقام من عشيق قديم أعطاها الحب وتمناها زوجة فاكتشف أنها فتاة ليل.

كان يحدثها بعد منتصف الليل بقليل وسألها أين تكون؟ فأخبرته أنها في البيت لم تجد ما تأكله سوى قطعتين من الخبز الحاف مع كوب

الشاي، وبعد أن أغلقت الهاتف تأسفت لمن يجاورها في السيارة لأنها طالبته بالصمت حيث تتحدث مع خطيبها، ولما سألها: كيف تحبه وتخونه في نفس الوقت، أجابته بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لكي أوفر قوت يومي، وأستطيع العيش.. لم يستغرب حين قالت له: خطيبي فسحني في نفس الأماكن بسيارته " فهنا أكلنا وهنا جلسنا.. وهنا قبلني".

- لو كان يحبك واكتشف احتياجك للمال فلم يكن يتأخر عن قضاء حوائجك.

ثم أبدى الزبون دهشته من قولها له في نهاية المكالمة : لا إله إلا الله، واستغرب ذلك التناقض المريب وأعطاه المبلغ المتفق عليه دون أن يفعل معها شيئاً من وقع الصدمة، لكن كان قد حصل على هاتف حبيبها حين طلبت منه رقمه الدولي فأخذ هاتفها ليسجل لها الرقم، وبعد أن تحدث مع حبيبها استقل حبيبها سيارته ووقف أمام العمارة التي تسكنها فوجدها عائدة في الثانية صباحاً، صفعها ثم بصق عليها وانصرف مستقلاً سيارته بدموع ترفض الأسر.

مقابل ليلة حمراء تنازل رامي عن كل شيء، هاتف أحد أصدقائه في قسم العمرانية ليلقى القبض على هذا الشاب متهماً إياه في قضية مخدرات حاول هشام - رغم كل بذاءاته - أن يمنع رامي من فعلته لكن لا شيء يحول دون أن يفعل رامي ما يريد، رغم كل حجج الإقناع التي ساقها هشام إلا أنه فشل في إقناعه، ولما لم يقتنع رامي بما قاله، فما كان من هشام إلا أن اقنع نفسه بسياسة الأمر الواقع،

وذهبا معا ليستمتعا بتلك الليلة، مقتنعاً نفسه أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي سوف تنسيه داليا.

وبينما كان حبيبها ينام على بلاط القسم كانت تتقلب هي في أحضان رامي، تشق ضحكات انتقامها عنان السماء، وكان هشام يجلس في الصالة منتظراً دوره، وضميره أيضاً كان ينتظر دوره في أن يفيق، لكنه لم يفيق.

دخل هشام إليها بعد أن أخذت حماماً، فوجد نفسه لا يبحث على الجنس بقدر ما يبحث عن الانتقام، دون أن يعرف ممن ولماذا؟! مارس معها الجنس بعنف حيواني مقرز، وكأنه ينتقم منها، لم يضاجعها بجسده بل ضاجعها بعقله الباطن المشحون بكثير من الذكريات الدنسة مع كل اللواتي حطمن قلبه ودرسن على كرامته، بل وراح ينتقم من كل آلهة العجوة التي صنعها الفاسدون في هذا الوطن، وكأنها ليلة انتقامه الأخيرة، وقد دفعت هذه الفتاة ضريبة كل هذه المتاعب والذكريات المضنية، بل وكل همومه..

وصرخت، هرول رامي طالباً منهما خفض صوتهما معتقداً أنها سعيدة، وبعد ساعة خرج هشام سعيداً ورامي يعتقد أنها أعجبتة، ودخل إليها فوجد ملاعة السرير ممثلة ببقع حمراء.

لم يعد يفهم هشام ما الذي يفعله في القاهرة المعز سوى أنه يغلق كل الأبواب التي تفتح له، لكنه يغلقها راضياً سعيداً، فقد قدم استقالته لرئيس تحريره من جريدة "الصوت الحر"، وراح يهيم في شوارع وسط القاهرة بلا مستقبل، حتى كان هاتف داليا هو المنقذ له من ظلامه، حمل صوتها الوهن، زادت دقات قلبه، أصر على لقائها، وكانت قد عادت من لندن منذ عدة أيام، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يصعد فيها رجل الأدوار العليا لفندق رمسيس هيلتون، دون أن تعرف بذلك الأميرة هناء، حيث طلبت داليا من الحراسة الخاصة أن يصعد إليها الطبيب الذي طلبته وهو معها على الهاتف الآن، اندهش هشام كثيراً لما تحويه حجرتها من عشرات الساعات وعشرات من زجاجات العطر على تسريحتها، وكشف دولابها المفتوح عن مئات الفساتين بكافة أنواعها وماركاتها، فضحك قائلاً:

- إذا كنت أنت كذلك فكيف تكون أميرتك؟

لكنه لم يعلق على الكاميرا الفيديو في زاوية الغرفة والموضوعة على حامل، وراح ينظر إليها من حين لآخر ثم اعترف لها بما فعل وشكى لها عذاب ضميره الذي لا ينتهي بسبب بريء ملقى في السجن، حاولت داليا أن تريحه من عذاباتهِ وتقلل همومه، أخبرته أنها تعاني عذاب ضمير أيضاً، ولكنه عذاب يفوق بمراحل عذاب

ضميره، لأنه يعرف بريئاً ملقى في السجن، بينما هي تتستر على عشرات الجرائم وعلى حفلات تعذيب المصريين، دون أن تنطق. وراحت تحكي له عن علاقة زكي عبد الوهاب بالأميرة هناء، صقع هشام، لم يصدقها، تحاملت عليه، أرته الفتحة التي تراقب منها كل ما يدور بينهما، والتي طلبت منها الأميرة هناء بنفسها إعدادها لتصوير غرامياتها بكاميرا الفيديو التي يستغرب هشام وجودها منذ دخوله غرفتها، ثم وضعت أسطوانة في جهاز "الدي في دي".

وقف هشام على قدميه مندهشاً وهو يرى زكي عبد الوهاب أسطورة مصر جالساً بين رجليها.. شاهده كما شاهد عشرات الساسة والفنانين يمارسون كافة الأوضاع الجنسية معها متفوقين على أوضاع كتاب "الكامسوترا" ذاته. سرح هشام لدقائق، أفاقته داليا وهي تضع يدها على كتفه ليلغى ما يفكر فيه لأنه ليس خبطة صحفية بقدر ما هو تدمير لحياتهما معاً، فهي لا تخشى الطرد أو التعذيب أو القتل، ولكنها تخشى قتله هو، فقد شاهدها تتحكم فيمن يتحكمون في مصير بلد بحجم مصر، فقال هشام بسخرية:

- الآن عرفت لماذا تراجعت ريادتنا.. ولماذا تقدم الآخرون..!

يعرف هشام أن داليا حبيبته، وأنه سيتزوجها رغم كل ما يجري من أمور لا يقبلها منطق، وقد زادت ثقته فيها حين حكّت له عما حدث لها من زوج أمها، وأنها تعيش الآن في مستنقع، لكنها لم تبع نفسها لأحد لأنها لا تملك سوى شرفها، لكن لقمة العيش تدفع الإنسان لفعل ما لا يرغب.

قاطعها صوت صراخ وارتطام، أسرعت إلى شرفة غرفتها. وجدت حبلاً طويلاً ممتداً من الشرفة المجاورة لها في الطابق التاسع والعشرين حتى الدور الواحد والعشرين، وجثة ملقاة على الأرض. كتمت داليا صرختها بينما راح هشام يحاول أن يفهم، الجثة لرجل من خمسة عمال مصريين احتجزتهم الأميرة هناء منذ ستة أشهر رافضة أن يذهبوا إلى أهلهم ومثلت بهم بكافة أنواع التعذيب، جعلتهم يأكلون من بقايا أكل الكلاب الخاصة بها، لا يعرف أهاليهم عنهم شيئاً.. فرد هشام بأثنين المجروحين:

- آه يا أميرتي.. أبعد هذا على المرء أن يصمت؟.

قالت: يجب أن تصمت مجبراً، فقد اشترت الساسة والمسؤولين ورؤساء التحرير.. "يا بني دي اشترت مصر كلها".. وحتى هذا الرجل المقطع أشلاء سوف يسجل على أن توازنه اختل وسقط وهو ينظف الشرفة.

لمح هشام رجلاً ينظر من شرفة في غرفة الدور الواحد والعشرين إلى أعلى، تحمل ملامحه وجهاً من وجوه مصر، التي لفحتها شمسها الحارقة، وليس مقيماً نزيراً في الفندق. طلب هشام من داليا الخروج حتى لا تحدث أزمة، وكان قد حصل على أسطوانة دي في دي دون أن تنتبه داليا لذلك. هبط مع رجل الحراسة الخاصة حتى الدور الأرضي، واتجه ناحية باب الخروج من الفندق ثم عاد مرة أخرى من طريقة محال الدور الأرضي، صعد إلى الطابق الواحد والعشرين. طرق باب الحجرة، لم يرد أحد، سمع صوتاً خلف الباب، طمأنه وعرفه

بنفسه وطلب منه فتح الباب، اطمأن الرجل فتح الباب، دخل هشام، جلس معه، استمع إلى قصته كاملة بعد أن أفقعه هشام أنه سيقدم له يد العون:

- اسمي حجاج عبد العظيم أبو مناع جئت من محافظة سوهاج منذ ستة أشهر، كنت أعمل مساعد شيف في فندق جراند حياة، وحين طلب مني أحد مرعوسي الانتقال للعمل مع الأميرة هناء فرحت كثيراً، لكن مع مرور الأيام ذقت القسوة والعذاب: محاولات من فرض السيطرة إلى حد العبودية، قذف بالأكل في وجهي، لطم صباح مساء، منع من الاتصال بأولادي، حبسي مع خمسة من زملائي منهم مساعد لي وعمال نظافة لا يجمعهم سوى أنهم مصريون، في حين أن الخادמות الفلبينيات اللواتي يعملن لديها يعاملن معاملة راقية، ويقدر عملهن، وبعد فترة شعرنا أنها لا تريدنا للعمل بل تريد فقط إهانة مصريتنا، بل وقررت قطع رواتبنا وعدم إرسال أموال لأسرنا.

لم يكن أمامي وزملائي سوى البحث عن متنفس لتحريرنا مما نحن فيه، فألقينا بالرسائل التي طالبنا فيها في زجاجات مياه معدنية فارغة ألقينا بها للمارة في الشارع، تجمهر نفر قليل من الناس بعد أن قرأوا رسائل الاستغاثة، لكن أمن الفندق استطاع تفرقتهم.

في اليوم الذي قررنا فيه الهرب أيقظونا مبكراً. نزعنا بناطيلنا والقمصان التي نرتديها. ربطناها مكونين حبلًا طويلاً. تقدمت بجرأة الذي لم يعد أمامه بديلاً في الحياة. تعلق في الهواء، قلت الحياة أرخص من أن تعاش بهذه الطريقة.. وإذا كنا قد ذهبنا لأكل عيشنا

بشرفنا ولم يحمنا أحد في بلدنا فما فائدة الحياة في وطن لا يوفر الأمان لأبنائه.. لكن الله أنقذني ولم يكتب النجاة لصديقي.. وحدث ما رأيته.

التقط هشام عدة صور للرجل بكاميرا هاتفه المحمول بعد أن حفظ كلامه كله الذي سجله على الهاتف ثم طلب من الرجل الصمت حتى يستطيع تهريبه، أخبره الرجل بمنفذ الهروب الخلفي الذي سيذهب منه.. وعلى هشام الخروج عاديًا لأن أحدًا لن يستطيع الوصول إليه. أثناء خروجه إلى الشارع وعبوره مثل أي مصري في شوارع العاصمة، راحت عشرات الأسئلة تتردد داخله، عما يحدث له، وماذا لو ترأس تحرير جريدة عبد الكريم ناصيف وعاش ملكًا، وصادق الأميرة هناء، ومارس معها الجنس مثل من يمارسون، فساد بفساد فهو يمارس الجنس مع فتيات ليل ويعيش حياته، لكنه توقف قليلاً أمام نفسه، فهو لم يبيع نفسه لأحد، لم يبيع شرف الكلمة، مارس الجنس مع فتيات يمتهن هذه المهنة، رفض كل الإغراءات لأنه يريد أكل العيش بشرف مثل ذلك العامل الذي وضعه القدر في طريقه ليكشف له ما خفي عنه، ليريه أن الخلود للأشرف وليس للأغنى.

لم يذهب هشام إلى البيت، لكنه ذهب مباشرة إلى جريدة "الحياة الجديدة".. قرر أن ينشر كل ما لديه من وثائق أمامها، فقد قرأ أسماء المشاهير المكتوبة على أسطوانات "الدي في دي" التي لدى داليا ولم يجد اسم رئيس تحرير "الحياة الجديدة" ضمنها، ولا رئيس تحريره، وهذا ما أدهشه..!

قرأت في النشرة الداخلية أنه قد تحدث آثار غير مرغوب فيها بنسبة ٢% نادراً ما تحدث في صور صداع، احمرار الوجه، اضطرابات المعدة، انسداد الأنف، إسهال، التأثير المؤقت على رؤية الألوان، زيادة حساسية العين للضوء و الرؤية الواضحة.

تقرأ بينما صورته، قد وضع فيها كل هذه الأشياء، لكن ما زاد دهشتها حين خروجه من الحمام وهو مازال منتصباً مفاخراً برجولته أمامها بأنه يستطيع فعل أي شيء، فقرأت في النشرة الداخلية : "يجب الاتصال بالطبيب إذا استمر الانتصاب أكثر من أربع ساعات".

نسرین واحدة من غانبات رامي اللواتي اعتاد تأجيرهن للعرب، فهذه هي المهنة الجديدة التي اختارها لنفسه بعد أن فصل من الشرطة، وراح يعيش حياة بوهيمية، يتصرف تصرفات غريبة ليثبت أنه لا يزال بقوته ولا يزال مسيطراً على الناس، قام بتكوين شبكة من بنات الليل لإقامة علاقات مع شيوخ وأمرأء من دول الخليج مقابل حصوله على ٥٠% من دخلهن، وراح يورد العديد من الفتيات إلى دول الخليج، كما راح يجلبهن إلى الفنادق، ويعرض صورهن على من يريد ويختار من يريد لها لتقضى ليلتها معه أو أسبوعها، لكنه لم يكتف بالأموال التي تنهال عليه من كل حذب وصوب، فبدأ في ضرب النساء وتعذيبهن بكل الطرق حتى يحكم سيطرته عليهن، بل ووظفهن

في سرقة الأشياء الذهب والهواتف المحمولة من هذه الشخصيات، وهي هواتف بعضها مرصع بالذهب وأسعارها تتجاوز عشرات الألوف إضافة إلى الساعات الألماس وغيرها، ودرين وعلمهن على سرقة كل ما قل حجمه وغلا ثمنه.

لكن نسرين كانت أكثرهن رغبة في الانتقام منه، فقد تعرف إليها في شارع قصر النيل في وسط البلد حين كانت ذاهبة لشراء بعض حاجياتها، وعدها بالزواج والحب، لكن لم تكن وعوده إلا سراباً وأوهاماً، ثم أجبرها بعد ذلك على ممارسة الجنس مع خليجي أعجبتة حين رآها معه ذات يوم، راحت تمارس الجنس بدم بارد، ودون إحساس سوى الرغبة في الانتقام من رامي، فكرت في طريقة انتقام لا يثبت عليها من خلالها أي دليل، فهي تعلم أن رامي لا تفارق الفياجرا جيبه أو سيارته أو شقته، لذا اشترت علبة من الصيدلية، وضعت له حبتين في كوب شاي، وبعد أن مارس معها الجنس ظل عضوه منتصباً؛ وظلت تعاتبه على أن الله أكرمه بدل السيارة سيارتين BMW، ولديه أموال في البنك فلماذا لا يستثمر هذا في مشروع حلال ويكف عن لعب دور القواد، ويتزوجها، لكنه سخر منها وكيف أن تفكيرها أوصلها إلى أنه من الممكن أن يتزوج مثلها، فهو حين يقرر الزواج سوف يتزوج من فتاة ذات حسب ونسب و ثراء، فتاة لديها مال مثل أموال قارون.. كنز لا ينفد، فالمال له هيئته وسطوته، وقد أراحها كثيراً اعترافه، وقتل الندم الذي تبقى داخلها على ما فعلته فيه، لكنه طرحها أرضاً وظل يمارس معها

الجنس لأكثر من ساعة محاولا القذف دون نتيجة، حتى وقع على ظهره.

نهضت نسرین، أخذت حماماً بارداً، جمعت كل متعلقاتها، محت كل ما يدل على أنها جاءت إلى هذا المكان، تركت علبة الفياجرا بجواره، جمعت شعرها المسدول خلفها في حجاب، وأغلقت هواتفه الثلاثة ورفعت سماعة البيت ثم أغلقت عليه باب شقته ليواجه مصيره المحتوم، لكنه كان سيئ الحظ إذ قدر له أن يعيش، فقد قدم أحد شيوخ الخليج بلاغاً إلى شرطة السياحة روى فيه أن رامي جلب له فتاة مارست معه الجنس، ثم سرقت منه هاتفه المحمول، وساعته الألماس، وعشرين ألف دولار، ومن ثم تحرت الشرطة وهاجمت شقة رامي، ولما لم يفتح تم كسر الباب وتمت إفاقة وعضوه منتصباً، هبط هكذا إلى سيارة الشرطة، وكانت فضيحة العار فيها أطول من العمر المترف.

جاء بالطبيب، وبعد أن أسعفه أعترف بكل ما فعل ليجد نفسه متهماً بالقوادة وسجيناً بقسم العمرانية لانتهاك التحقيقات مع الشاب البريء الذي ألقى به في السجن من أجل عيون فتاة ليل، وعرف السجناء أنه قادم بتهمة "القوادة" فتعاملوا معه كما يجب أن يُعامل القواد.

وكان القاهرة كانت على استعداد لمن يناديها: "اخرجي يا مصر أن الألوان". كل شيء كان متحفزاً في انتظار من يدفع الباب في انتظار فؤادة، لتلف الساقية وتروي الأراضي العطشى وتمحو "شيء من الخوف" داخل نفوس المصريين، وترد لهم ما سرق من أعمارهم وأعمار أجيال ستأتي من بعدهم..

فلم ينتظر رئيس تحرير "الحياة الجديدة" حتى راح يرسم التحقيق على صفحتين بصور من الدي في دي، وصور العامل وقصة مجيء الأميرة هناء إلى مصر واحتلالها لها رغم طردها من أغلب الدول العربية، لكن كيف تصحو وتعزف سيمفونيتها الخاصة بها راسمة وجهاً آخر للوطن، تدوس على كل من يحاولون سرقة القمر من سمائها وقتل أسراب العصافير التي تعبر نيلها كل نهار مؤملة بفجر جديد؟

تنام مصر في قيلولة طويلة بعد ما توقف زكي عبد الوهاب على النيل ببندقيته الخاصة، محاولاً اصطياد كل أسراب العصافير وقطع ألسننتها، تغريدها بسبب له الأرق ليل نهار، وإن لم يقبض عليها ويقطع ألسننتها، فليروعها ويلقى في وجهها فزّاع الطيور لتهاجر بحثاً عن وطن آخر تحلق فيه وتغرد في سمائه، لكن من قال إن العصافير تستطيع أن تترك النيل وتترك أرضاً وهبها الله كل شيء؟.

أحلام زكي عبد الوهاب تفوق أسراب العصافير، فهو لا يريد أن يغرد ويفرد جناحيه فوق النيل، هو يريد امتلاك النيل.. امتلاك كل شيء؛ الأخضر واليابس، يريد لها أن تكون مصره هو لا مصر الشعب والبسطاء، ففي صباح نشر التحقيق الصحفي على صفتين في جريدة "الحياة الجديدة" مبشراً في نهاية الصفحتين إلى أن الحلقة المقبلة تكشف بالوثائق محاولات زكي عبد الوهاب تدمير مصر واحتكاره لأدوات الصناعة في مصر، وتلاعبه في البورصة وتربحه ملايين الأسهم، كما ينشر تفريع لكلامه عن الرئيس ونجله.

من شرفة بيته المطل على نيل القاهرة راح زكي عبد الوهاب يدهس سيجارة بقدمه مقررًا أن كل من يعترض طريقه يجب أن يُفحص بهذه الطريقة، لكن تلك القدم لم تخف احمرار عينيه وشعره غير المهذب وتوتر أصابع يديه، والهم البادي على وجهه كأنه لم ينم منذ عشرات السنين.

أخرج هاتفه المحمول و طلب أحد رجاله، ولم تمر ساعة على هذه المهاتفة إلا وكان هشام عبد الحميد العابر شوارع وسط البلد غير أبه لشيء كعادته، يفاجأ بسيارتين جيب تحاصرانه من الجانبين، تلتقطه إحداها بعد ضربه على رأسه، ليجد نفسه ملقياً على الأرض، مكبل اليدين في إحدى غرف فندق رمسيس هيلتون، ذهب زكي عبد الوهاب منزعاً إلى الفندق، عابراً عبر دروبه في ضيق، لا يرد على أحد تحيته حتى وجد نفسه في مواجهة الأميرة هناء في السويت الخاص بها، صارخاً فيها لأنها استبقته وخطفت هشام قبله، ولأنها

احتفظت بالمستندات الخاصة به وبالصفقات التي سهلت له اقتناصها، ووضعت صورة من كل هذه المستندات على أسطوانة مع تسجيلات صوتية له يسب فيها الكبير والصغير، وتسجيلات فيديو يمارس فيها الجنس معها، ويحكي لها عن أحلامه في الجلوس على كرسي الفرعون. تجاوز صوتهما الجدران في معركة كلامية لتخبره الأميرة هناء أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تستطيع بها التحكم في كل من يحاول التمرد عليها بعد ذلك أو الشيع منها.

هي فقط التي تقرر متى تشيع ومتى تنهى علاقتها بشخص ما ؟
لا تزال الأميرة هناء - حتى هذه اللحظة - تعتقد أن ليس هناك ما يدينها.. فسوف تقوم بتركيب عدة أفلام جنسية للعديد من الشخصيات لتكشف أن هذا السي دي مفبرك، مثل السي دي المنشور.
سخر منها زكي عبد الوهاب:

- لقد انتهت أسطورتك المزعومة.. وأنا أيضًا، ولا أعتقد أن أحدًا سوف يتركك.

هكذا قال وهو يفرك يديه، بينما ضحكت وهي تناوله عدة صور:
- هذه صور الواد الصحفي مع عبد الكريم ناصيف في لندن، والتي تستطيع أن تؤلف عشرات الحكايا عليها، لدي ولديك عشرات من الأقلام التي تدفع لها كل شهر، هل نسيت السيارة التي اشتريتها لرئيس تحرير جريدة "النور"، والشقق والشاليهات.. هل نسيت ما كنت أدفعه لهم؟!

لم يعلق عبد الوهاب على كلامها.. فقط نظر في عينيها، وهو يطلب منها أن تغادر مصر خلال ٦ ساعات بالكثير، وإلا فحياتها سوف تنتهي، ثم بعد الفضيحة الجنسية المنشورة لها في "الحياة الجديدة" لن يجرؤ أحد من عائلة زوجها على الوقوف بجوارها.. دي مسألة شرف يا برنسيس..

- نسيت نفسك يا زكي.. أنا اللي عملتك.

صرخت فيه ثم أردفت:

- أريد أن أريك مسائل الشرف أيضًا.

ذهب معها إلى الغرفة الملقى فيها هشام ليراه عاريًا من ملابسه، يتناوب ثلاثة رجال من حرسها اغتصابه، بينما هشام يقاوم ويصرخ ويسب والدم يسيل من فمه، صرخ فيها زكي عبد الوهاب بأنها انتهت.. انتهت تمامًا.. ده صحفي.. عارفة يعني إيه صحفي؟

- يعني شيئًا واحدًا يا حبيبي، سوف تراه خلال دقائق خمس.

ثم سحبته وراءها وهو ينظر خلفه لما يحدث، هدأت من روعه. طلبت له عصير ليمون ليحاول السيطرة على أعضائه ومشاعره، بعد دقائق جاءت بها مهاتفة تخبرها بكلمة واحدة:

- تمام يا سمو الأميرة.

فتحت الـ"لاب توب" الذي أمامها. دخلت على الانترنت. فتحت موقع اليوتيوب. كتبت "الصحفي الـGAY" هشام عبد الحميد، وإذا بزكي عبد الوهاب يلقي بعصيره من يده ويقف مصعوقًا، فما كان يراه من دقائق في الفندق يراه الملايين في كل العالم على اليوتيوب الآن.

نقلت القنوات الإخبارية خبر اختطاف الصحفي هشام عبد الحميد بعد القضية التي فجرها. استعرضت قناة "الجزيرة" تقريراً مطولاً عن حياة هشام وتاريخه الصحفي. استضافت قناة "العربية" رئيس تحرير "الحياة الجديدة" ليروى تفاصيل الواقعة وما تحت يده من مستندات. كشفت الـ BBC "غياب الأمان في مصر إزاء اختطاف صحفي من شوارع وسط القاهرة في عز النهار. هذا على الرغم من انشغال كل الفضائيات بالقضية الأهم وهي الحكم على عبد الكريم ناصيف مالك العبارة بالبراءة، ولطم وبكاء أهالي الضحايا في شوارع جنوب مصر حيث جرت المحاكمة وفقد ذوو الضحايا المنكوبين شعورهم بالأمان، وتبدلت ثققتهم في الهيئة القضائية إلى دعر مخيف، ونقلت الفضائيات صرخاتهم وأناتهم، إلا أن كل هذا لم يغط على قضية اختفاء هشام عبد الحميد.

هرول عامل من عمال عمارة دوحة ماسبيرو ليخبر عدنان أنه شاهد صديقه الذي جاء معه مرة إلى المبنى فاقداً للوعي محمولاً لدى رجال أقوياء عبروا به من الباب الخلفي للفندق.

سارع عدنان إلى مكتب قناة الجزيرة الذي يقع في نفس البناية -دوحة ماسبيرو- وأخبرهم بالخبر الذي نقلته قناة الجزيرة على الفور، واستضافت العامل وعدنان ليتحدثا عن شرف ونزاهة صديقه ويحكى لهم قصته مع عبد الكريم ناصيف، في الوقت ذاته الذي كانت داليا تُصعق بالكهرباء في مناطق حساسة من جسدها، وهناء تقول لها: سوف أجعلك تموتين ألف مرة.

في ذات اللحظة أيضًا كان طارق التلمساني، الذي سافر مع رئيس التحرير وهشام إلى لندن يضع البروفات النهائية لصدور العدد الأول من جريدة "الحق"، ويعلن في العديد من الصحف بداية البث التجريبي لقناة "الحق" أيضًا، ويهاتف عبد الكريم ناصيف ويطلب منه العودة في أي وقت إلى وطنه الأول والأخير مصر...!!

أثناء استعدادات عبد الكريم ناصيف وحزم حقائبه للعودة إلى مصر أوقفته مهاتفة من مصر عن كل ما عقد نيته عليه، فقد هاجم أهالي الضحايا شركته الخاصة بالملاحة البحرية ودمروا كل ما فيها، ثم هاجموا فيلته وأشعلوا فيها النيران، وكذلك الشركات الأخرى الخاصة به، ولم يستطع أحد اعتراضهم.

لم يصل خبر ما نشر في "الحياة الجديدة" إلى الرئيس، فقد كان رجاله يحملون تردددهم كالعادة في حجب ما ينشر عنه حتى لا يعكر مزاجه، أو وضع كل الحقائق أمامه ونجله، لكن صهر الرئيس جاء دون موعد إلى قصر الرئاسة. سأل عن الرئيس ثم صعد إليه وفي يده صحيفة "الحياة الجديدة" قرأ الرئيس ما كتب. أصدر أوامره بإخراج الملفات الخاصة بالأميرة هناء وزكى عبد الوهاب والقبض عليهما. فقد كشف أن الأميرة هناء تلعب لعبة مخابراتية تتفوق بها على ماتهاري، وكشف عن علاقتها برجل المخابرات الأمريكية القوى وتسجيلات لمكالماتها التي لم تراع فيها الحرص ظنًا منها أنها أكبر من الجميع.

على الرغم من أن الأميرة هناء فعلت ما أرادت إلا أنها أصرت على
إذلال هشام أكثر وأكثر، أعطت إشارتها إلى مغتصبيه. ذهبت وزكي
عبد الوهاب مرة ثانية إلى غرفته، لأنها تعرف كم الألم والعذاب
والإذلال لاغتصاب رجل في وجود امرأة.

ضحك هشام ساخرًا رغم ألم الاغتصاب والعرق المتساقط من كل
أجزاء جسده، اغتاضت الأميرة هناء، وقف زكي عبد الوهاب واضعًا
يديه في جنبه وسأله عما يضحكه، فقال له هشام:

- إنني أتساءل لماذا لم يغتصب عمرو بن هشام أو أحد أتباعه عمار
بن ياسر وأهله، فقد عذبوهم وصفدوهم ووضعوا الحجارة الكبيرة
على أجسادهم، ولم ينبث أحد منهم ببنت شفة، فقد نسوا أجسادهم
وبقوا بأرواحهم مع الله، ومع ذلك لم يفكروا في طرقكم العصرية في
التعذيب، رغم أنهم كانوا في الجاهلية، فليت أبا جهل يأتي ليتعلم
منكم، ويأتي عمه الوليد بن المغيرة حتى لا يندهش لما فعله ابن
أخيه بآل ياسر لأنه أمر عادي إزاء ما تفعلون بإنسان له مبادئ وقيم
يريد الحفاظ عليها، لكنكم لا تريدون، وتظنون أن مصر ستظل تحت
إمرتكم تفعلون فيها ما تريدون، لكن الشعب المصري رغم صمته
المهين، فإن يقظته زلازل وبراكين.. ولن يقف قبالته أحد.

بينما كان هشام يلقي عليهم خطبته العصماء، وكلماته التي تخرج من
بين آلامه كانت تتعالى أصوات أمام هيلتون رمسيس تسد الشارع، لا
يبين نهايتها، بتحريض من عدنان وشادي، هرول عبد الوهاب وهناء
لينظرا فإذا ميدان عبد المنعم رياض لا يظهر من آلاف الناس

المتجمعة التي راحت تهاجم الفندق وتدوس كل ما يعترض طريقها،
صعد في الأسانسير من صعد، وجرى على السلالم الخلفية من جرى،
ووقف أمن الفندق مع الناس واتحد معهم ودلهم على الطرق
الصحيحة للوصول إلى الأدوار الأخيرة التي تسكنها الأميرة هناء،
دارت معركة عنيفة بين الحرس الأمريكي والشعب القادم كالطوفان،
وقد أدرك الحراس أن هؤلاء الناس لو تمكنوا منهم فسيجعلونهم
طعامًا للكلاب.

الكلاب الأمريكية الضخمة بسطت رجليها ونامت على قدميها حيث
ألقي لها أحد الحراس المصريين بأرغفة بها سم، حين سمع صهيل
الشعب في الشارع، ثم تقدم عدد كبير من الناس من زكي عبد
الوهاب والأميرة هناء وهم يهرولون أمامهم، حتى أمسكوا بهما،
وألقوا بهما من الطابق الأخير من الفندق، ولم يستمعا إلى
استغاثتهما وتوسلاتهما طلبًا للعفو والتوبة النصوحة.

نظر الرئيس من شرفة بيته فرأى دخانًا يتصاعد بقوة من ميدان عبد
المنعم رياض، ظنَّ أن مصر تشتعل بثورة شعبية فأوصد باب غرفته
عليه وصمت.





سامي كمال الدين

- § كاتب وإعلامي مصري من مواليد محافظة قنا - جنوب مصر
- § تخرج من كلية الآداب قسم الصحافة بسوهاج ، عام ٢٠٠١
- § يعمل صحفياً بمؤسسة الأهرام (مجلة الأهرام العربي)
- § مدير مكتب مجلة الدوحة في القاهرة
- § عضو نقابة الصحفيين
- § عمل رئيساً لتحرير مجلة داون تاون ، مجلة شبابية تعنى بالقضايا المحلية وهموم الشباب ومشاكلهم
- § عمل أثناء دراسته الجامعية فى العديد من الصحف والمجلات ومنها الحياة والجيل والقاهرة وسطور والرأية والصدى وصوت الأمة
- § عمل في مجلة نصف الدنيا من ٢٠٠١ وحتى ٢٠٠٣
- § حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين المصرية عام ٢٠٠٣ عن كتابه عن الفنانة شادية الذي نشر مع مجلة نصف الدنيا
- § حاصل على الجائزة الأولى من نقابة الصحفيين لعام ٢٠٠٦
- § تم تكريمه في صالون غازي الثقافي العربي عن أعماله المتميزة مع مجموعة من المفكرين والمثقفين والفنانين

- § يكتب في العديد من الصحف مثل المصري اليوم والكرامة
- § يكتب مقال أسبوعي كل خميس في جريدة "المصريون"
- § تم اختياره مع ٧٥ صحفياً من ٥٠٠ صحفي للمشاركة في الدورة الأولى لمؤسسة محمد حسنين هيكل ، والتي أشرف عليها الصحفي الشهير سيمور هيرش . كما اجتاز الاختبارات في الدورة الثانية التي عقدتها مؤسسة محمد حسنين هيكل ، والتي عقدت لشهر كامل ، وفاز مع ١٠ من زملائه الصحفيين من ٢٥ صحفياً بمنحة السفر إلى لندن
- § انفرد بلقاء خط الصعيد المتهم بقتل ١٥٠ شخصاً وزراعة الأفيون وهو محاصر في قلب الجبل.. ونشر في مجلة الأهرام العربي بتاريخ ٢٠٠٤/١/١٧.. وفي عام ٢٠٠٦ زاد عدد ضحاياه وحاولت العديد من الصحف لقاءه؛ ولم يستطع أحد لقاءه ، لكنه التقاه وأجرى معه حديثاً نشر في جريدة المصري اليوم على حلقتين في ٢٥ و ٢٦/٩/٢٠٠٦
- § كتب فيلماً تسجيلياً عن الفنانة سامية جمال ودورها الفني والسياسي من إخراج سعيدة بوكمال - مخرجة فرنسية من أصل جزائري - وإنتاج خالد عبد الرحمن الخميسي ، ويذاع في القناة الخامسة الفرنسية وتلفزيونات بريطانيا وإيطاليا واليونان وتركيا .
- § قام بالتقاط الصور الوحيدة للحدث الإرهابي لتفجير ميدان عبد المنعم رياض ، والتي بثتها وكالة الاسوشيتدبرس وعرضتها أغلب التلفزيونات في العالم ، ونشرتها الصحف العربية والغربية ، والغريب أنه التقط هذه الصور بكاميرا هاتفه المحمول .

§ أجرى عشرات اللقاءات السياسية والفكرية مع مثقفين ومفكرين وساسة وفنانين . وانفرد بنشر عدة حوارات مع الفيلسوف الكبير عبد الرحمن بدوى قبل رحيله نشرت في مجلة نصف الدنيا .

§ أجرى الحوار الوحيد الذى نشر مع الدكتور ممدوح حمزة الذى ألقى شرطة اسكوتلانديارد القبض عليه في لندن متهمه إياه بالتخطيط لاغتيال أربعة وزراء مصريين ، وقد استعانت جهات التحقيق بمحتوى الشريط بعد تفرغه .

§ الإصدارات :

- حوارات من جنوب الوطن المنسي : يتضمن حوارات مع بعض كتاب وأدباء من جنوب مصر .

- أيام مع الولد الشقي : ذكريات مع الكاتب الكبير محمود السعدني . عن دار أخبار اليوم .

- نزار قباني وروائع القصائد المغناة .. أسرار وحكايا نجوم الفن مع نزار : عن دار الكتاب العربي .

- الذين أضحكوا طوب الأرض : عن دار الكتاب العربي .

- رسائل المشاهير : شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠٠٩

- هيلتون : رواية . شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٠

- موبيل زكي رستم : مقالات . شمس للنشر والإعلام ، القاهرة ٢٠١٠

§ البريد الإلكتروني : samy_585@yahoo.com

samykamaleddeen@yahoo.com



(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net